أوراق

ملحق يعنى بآخر الاصدارات الحديثة في العالم يصدر عن مؤسسة

إليزابيث تايلور تكشف أسرار هوليوود

8

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (1826) السنة السابعة
الاحد (20) حزيران 2010

هل يموت الكتاب الورقي؟

خطابات غيرت القرن العشرين

نساء عاشقات.. قصة العشق والرغبة والانتقام

تاريخ الرائحة والشم

مونيكا لوينسكي تلاحق كلينتون.. في كتاب جديد

الرئيس الروسي يخرج من البيت الابيض بالسروال الداخلي

موت الكتاب التقليدي

ما فعله التحديث بعالم المكتبة القديمة

ترجمة / عادل العامل

يُذهلني، تقول مارثا كولينز كاتبة هذا المقال، ما أحصل عليه مجاناً في المكتبات العامة. فهناك كتب، أكداس متمايلة كبيرة من الكتب، لكن هناك كذلك مدخل الكومبيوتر، و في السنوات القليلة الأخيرة هناك الـ Wi-Fi المجاني. و حين كان ابني أصغر سناً، كنا نذهب إلى ساعات من القصة و الأناشيد أو الأغاني الجماعية. إن المكتبات العامة واحدة من الأهواء العظيمة في حياتي. و ذلك هو السبب في شعوري بالاحباط عند سماعي مؤخراً عن اقتراح (مكتبة بوستن العامة) إغلاق بعض فروع الجوار.

و بعد أشهر عديدة من افتتاح المكتبة الرئيسة في كامبرج، أجد نفسي أسأل سؤالاً غير متوقّع : ما الغرض من المكتبات ـ حقاً؟ أن تكون ملتقىً عاماً؟ أن ترقّي التعلم المستمر مدى الحياة؟ أن تساعد على اجتياز تدفق المعلومات؟ أن تخزن الوثائق المطبوعة للسجل التاريخي، وفقاً لتأكيد نيكولسون بَيكَر على أنها ينبغي أن تفعل ذلك؟

إن المكتبات يمكنها أن تؤدي جميع هذه الوظائف. لكنها ماذا تعني لنا و الأماكن المادية physical تتغيّر، و رؤية علم المعلومات يجري ادخاره في فرع كامبرج الرئيس.

حين زرتُ المبنى الجديد مؤخراً، رأيت أناساً؛ و رأيت رفوفاً مفتوحة و كتباً معروضة على نحو جذّاب. لكن أشخاصاً قليلين كانوا يقرأون تلك الكتب، و رأيت حيّزاً كبيراً جداً، نوع الفراغ الذي يحبه المعماريون.

و من الطابق الثالث، تطلعتُ للأسفل نحو رجل ضئيل في كرسي. و كان لديه لابتوب على ركبتيه، و قد تدلت براعم سمعية عند صدره المكسو بكنزة سوداء. و كانت هناك خلفه شاشات على عدد من المكاتب. و كان يجثم مستخدمو أجهزة اللابتوب في الطابق الثاني في خليج زجاجي. كنت أنا في الأعلى في غرفة الأطفال ـ لم تعد غرفةً و إنما مساحةً واسعة في أعلى المبنى ـ أجلس في كرسي منحوت من زند خشب غريب.

كنتُ بالطبع المتفرجةُ الوحيدة، أعوم عبر مساء تهاية الأسبوع. و قد افتُتح الفرع الجديد في تشرين الثاني لا أكثر. و كانت أنظمته على وشك أن تُجرَّب، و سوف تتطور مع الوقت، مع وفرة من مرادات أصحاب الشأن. غير أن المبنى، و هو علبة زجاجية متعلقة بالهوى القوطي الفتوري القديم، يعكس أيضاً فِكَرة جديدة عن المعلومات وما يحصل على مدخل له إليها. و لا ينطوي على تلك الفوضي القديمة في أوضاع الكتب، و تلك مشكلة بالنسبة لي. و ليس من المدهش أن يدعوه (أسبوع العمارة) " فاتناً ".

أما أنا، فأتساءل مَن يا تُرى من المفترض أن يجذب هذا التصميم. و أتشكك في كل هذا الحيّز المفتوح في منطقة المدخل، و في الاعتقاد المكتوم بأن الكتب هي عنصر تصميم، حالها حال النباتات المحفوظة في الآنية. و حين افتُتح المبنى أولاً في الخريف الماضي، ذكر قسم عروض الكتب في مجلة (بوستون غلوب) أن مديرة المكتبة سوزان فلينيري " أرادت أن تخلق ' هجيناً ' تمتزج فيه خصائص المكتبة العامة و مكتبة البيع بالمفرد ".

مكتبة بيع بالمفرد؟ مع كل تشديدها على حصة السوق؟ أشعر باليد الباردة للتجارة تعتصر قلبي. ففي بلدة أفواه كبيرة مولعة بالكتب، فإن تجديد المكتبة العامة الرئيسة كان عملاً سياسياً و عاطفياً؛ و أنا أتذكر ذلك جيداً باعتباري مقيمة لعشرين عاماً في كامبرج. و كانت الصحافة المحلية منذئذ متحمسة. لكن مع أن المبنى القديم كان بحاجة لقدر من التصليح، فإنني الآن أقوم بإعادة تقويم رأيي في ما إذا كان على المدينة أن تنفق ٩١ مليون دولار على هذه الأعجوبة المعمارية.

إن لم يكن أمراً آخر، فإن سماع ما يتعلق بمكتبات بوستون، كما جاء في تقرير غلوب و صحف أخرى، يجعل من الواضح أن مثل هذه القرارات تتضمن شيخوخةً. كما أنه يُلمح إلى مواقف تتعلق بنوع المعلومات الذي " يبيع ".لفإذا كانت لديك نقود لتسيلات جديدة، هل تركّز على خزن وثائق مطبوعة (كما سيشجع عليه نيكلسون بيكر) أو تقيم شيئاً مساوياً لدار نشر بيرنز& نوبل؟ إذا لم يكن لديك نقود، ما الذي يهم؟ الكومبيوترات؟ فعّاليات الأطفال؟ الكتب الجديدة أو القديمة؟

و استشهد غلوب بقول ذلك الذي اتهم العمدة توم مينينو برمي المكتبات العامة بعيداً " باعتبارها مفارقة القرن ٢١ التاريخية، شيئاً ما يمكن إبداله بياهو أو غوغل ".

و كان رئيس مكتبة بوستن العامة، إضافةً لرئيس هيأة المكتبة، يؤكد أنه لم يكن هناك كومبيوترات كافية أو جهاز وظيفي لمتابعة العمل. لكن عضواً فعالاً من فرع مكتبة مهدد بالاغلاق تساءل عما إذا كان القرار يتعلق حقاً بالنقود فقط، " و حتى لو حدثت معجزة و حصلت على ٣,٦ مليون دولار، هل تتطلع مع هذا إلى إغلاق الفروع؟ "

و لقد ذكر إداريو المكتبة أن تدفق المال سيساعد، لكنهم لم ينكروا أنه يمكن مع هذا أن يعزز الخدمات و الجهاز الوظيفي.

و في غضون ذلك، تستمر الاحتجاجات. و كما يذكر معلّق صحيفة غلوب، فإن المكتبة " تهدد بخطر أن تُصبح موقع شجار بوستوني

إن المكتبات يمكنها أن تؤدي جميع هذه الوظائف. لكنها ماذا تعني لنا و الأماكن المادية physical تتغيّر، و رؤية علم المعلومات يجري ادخاره في فرع كامبرج الرئيس.
حين زرتُ المبنى الجديد مؤخراً، رأيت أناساً؛ و رأيت رفوفاً مفتوحة و كتباً معروضة على نحو جذّاب. لكن أشخاصاً قليلين كانوا يقرأون تلك الكتب، و رأيت حيّزاً كبيراً جداً، نوع الفراغ الذي يحبه المعماريون.

كلاسيكي، مع جوارات محرَّضة ضد صخب آخر على فطيرة تنكمش. "

في كامبرج، بعد مشاهدة مستخدمي اللابتوب، هبطتُ السلّم الحجري القرنفلي اللون إلى أكداس كتب اللاقصة. و وجدتُ "Double Fold" و استقرّيت في كرسي أيرلندي حديث. حسنٌ، لقد أحببتُ مشهد السقوف العالية و السحب البدية من خلال النوافذ. و ارتحتُ لصوت الضربات الهامسة الصادرة عن لوحات مفاتيح تشغيل الكومبيوترات من حولي. كنتُ الجمهور الهدف. لكنني لو أردت، لكان بوسعي أن أطلب الكتاب من خلال شبكة المكتبة في البيت. لم أكن أحتاج إلى ذلك ـ لكن ذاك يثير لدي عندئذ أسئلةً عن سبب احتياج أي شخص لأن يكونَ في مكتبة عامة.

و مضيتُ في طريقي هابطةً إلى الطابق الأرضي بـ " مقهاه " و زاوية آلات البيع. و كانت الطاولات المعدنية المستديرة مثقلةً بأحاديث طلبة الثانوية في كامبرج.

و تتبعت علامات العودة إلى المبنى القديم (المبنى الجديد يُدعى " زجاج Glass "، و القديم " حجر "). و ما تزال غرفها المخصصة للمطالعة بجدارياتها مفتوحة للجمهور، و رفوفها المبنية مجهَّزةً بالكتب المطبوعة بالحجم الكبير، و الديموغرافيا المقصودة واضحة، و لو أن أشخاصاً قليلين كانوا يشغلون هذه الطاولات.

و تبين الجداريات المجددة تاريخ الطباعة، بدءاً بالمصريين و الصينيين القداء، ثم انتقالاً إلى " الفترة ١٤٢٢ ـ ١٤٩١ : وليام كاكستون ، الطبّاع الانكليزي الأول " إلى بينجامين فرانكلين و غوتينبيرغ. و رحت أفكر بما يمكن أن تصوره لوحة من القرن الـ ٢١. صفوفاً من الكومبيوترات؟ غرفَ أخبار مغلقة؟ كلماتٍ تتبخر؟

مع هذا فإنّ تحرك الكثير جداً من النص إلى الانترنيت لا يعادل بالضرورة الحيز الفارغ ـ و تلك هي السخرية. و كما هي حال مستخدمي اللابتوب في الطابق الأعلى، أجد الآن معظم الفوضى الغنية التي أحبها على الانترنيت و ليس في مبنىً كهذا.

و في الخارج ثانيةً، رحت أسير في زخات المطر حتى مدخل (الحجر) القديم، الذي كُسي داخلياً بالزجاج كغرفة مؤتمر صغيرة. و قبل عقد من الزمن، كان ممر الدخول هذا مليئاً بلوحات و أكداس النشرات الإعلانية المتناثرة. أما في المبنى (زجاج Glass)، فلم أرَ إلا لوحة إشعارات واحدة، و كانت في الأعلى في غرفة الأطفال. و حتى تلك لم يكن عليها التبليغات الداعية طوعاً أو كرهاً إلى صفوف يوغا و مربيات أطفال.

و أنا أفتقد رفوف غرفة الأطفال القديمة الفائقة العدد، و الحدود الأكثرقرباً التي توفر ألفةً أشد مع أمناء و أمينات المكتبة. إنني مصابة بالحنين إلى الماضي، أعترف، و مشدودة إلى ذكرياتي. و قد بدأت أُحضر معي ابني إلى (الحجر) القديم حين كان ما يزال صغيراً جداً. و لم أكن أهتم إذا ما أبعد الأطفال و الأمهات و الجدّات إلى الطابق التحتأرضي. فكنّا نجلس على ذلك البساط العتيق مع دمى الحيوانات، و كان بارتفاعه و في كل اتجاه يرى كتباً هنا و هناك. فكان يختطفها و يبعثرها، بالسرعة التي يقفز بها اليوم إلى المواقع مع غوغل.

و بصرف النظر عما يقوله الإداريون، فإن جمالية المكتبة الحالية ليست فقط في ما يتعلق بالطابع العملي practicality . فالمبنى الجديد لا يشجع على البعثرة الابداعية. قد تكون حلم عالم مكتبات بالتحكم، لكنها ليست لي. و كم سيكون الأمر مختلفاً لو كُدِّست الكتب في تلك العلبة الزجاجية. فمن المتنزه في الخارج، سنرى أكثر كثيراً من الفراغ. و ربما صرنا نثق بمشهد معلومات لا يهدد بإغراقنا باستمرار.

عن /Salon

إليزابيث تايلور..الحياة في هوليوود

إليزابيث تايلور هي أحد أواخر نجوم السينما، وربما أنها النجمة السينمائية الأخيرة، من العصر الذهبي لاستوديوهات السينما في هوليوود. لقد استمرت في التمثيل طوال أربعة عقود من الزمن برفقة أكبر نجوم السينما في التاريخ ولعبت جميع الأدوار. وهذه الممثلة هي موضوع كتاب الناقد السينمائي وليام ج. مان تحت عنوان: «كيف تكون نجما سينمائيا: إليزابيث تايلور في هوليوود».

الصورة التي يرسمها لها المؤلف أنها نجمة سينمائية كبيرة، من آخر الكبار فنيا، وأنها تزوجت ثماني مرات وحطّمت العديد من الأسر. وقد حازت جائزة «الاوسكار» الشهيرة. لكن ما يوليه المؤلف اهتماما كبيرا هو شخصيتها كامرأة تحب الحياة: «إنها امرأة تحتل حياتها الخاصة مكانة أكبر في مخيلة جمهورها أكثر من المكانة التي تعود لأعمالها».ويذكر المؤلف أن «قصص» إليزابيث ليز . تايلور احتلت الصفحات الأولى من الجرائد والمجلات الأميركية والعالمية في سنوات الستينيات المنصرمة وكانت أغلبها قصص زواج وطلاق ومغامرات. الأمر الذي لا يمنع المؤلف نفسه من القول إنه «رغم الثرثرات» فإن «هذه المرأة ذات الشخصية القوية حافظت على طبيعتها الإنسانية المتأصلة».

والإشارة أيضا إلى أنها كانت تثير عن قصد «الكثير من القضايا» من أجل المحافظة على اهتمام وسائل الإعلام بها، وبالتالي المحافظة على شهرتها، ولم تكن تنقصها «الجرأة» كي تفعل ذلك. بل يرى المؤلف أن العديد من الزيجات التي قامت بها مثل تلك مع ايدي فيشر الذي «خطفته من زوجته»، وريشارد بورتون، كانت غير بعيدة عن البحث عن «الدعاية» المبرمجة.

لكن بالمقابل يجد المؤلف «البعد المدهش» في شخصية ليز تايلور بحياتها الخاصة، الحقيقية، حيث كانت تتمتع ب«قدر كبير من الصدق في عواطفها والإخلاص في علاقاتها». بل يؤكد عبر توصيف العديد من الوقائع أنها كانت «مدافعة صلبة عن حقوق المضطهدين».

ولم تكن تتردد في إعلان «غضبها» ضد النظام الفاسد الذي كان قائما في «استوديوهات هوليوود» التي لم يكن للبعد الإنساني أي مكان فيها.

وكان كل المكان مكرّسا لكيفية كسب كميات أكبر من المال، ولكن لم يتوصل ذلك النظام الصارم إلى «ترويضها» حيث بقيت تعبر عن انفعالاتها وقابليتها ل«الغضب السريع».

ويشير المؤلف إلى أن إليزابيث تايلور حظيت بعدد كبير من الكتب التي جعلت من سيرة حياتها موضوعا لها بحيث أن عدد هذه الكتب فاق كل ما كُتب عن نجوم هوليوود الآخرين. لكنه يؤكد بالمقابل أن أيا من هذه الكتب لم يشرح كيف أنها صنعت وخلقت ما يسميه «ثقافة الشهرة» السائدة في عالم اليوم. لقد اخترعت كما يقول «المؤسسة الحديثة لصناعة الشهرة».

وهذه «المدرسة» تعلّم الكثير من النجوم وعلى رأسهم «مادونا» التي انتهجت عمليا نفس السبيل الذي رسمت إليزابيث تايلور معالمه الأولى.

ومن خلال سيرة حياة إليزابيث تايلور يقدّم المؤلف في واقع الأمر توصيفا للكيفية التي كانت تعمل فيها هوليوود وعالم السينما فيها. ويؤكد القول أنه عالم شكّلت الدعاية أحد أركانه الأساسية وشغل فيه مسؤولو هذه الدعاية دورا مركزيا في شهرة النجوم.

وكان مقياس نجاحهم الأساسي هو مدى توصّلهم إلى إقناع المشاهدين، الجمهور، أن ما يرونه أمامهم هو «تعبير عفوي عن الواقع» بينما لم يكن في الحقيقة سوى عمليات تركيب وتوليف. وليز تايلور برعت في أن تلعب مثل هذا الدور بالنسبة لشهرتها.

لكن المؤلف يؤكد ضرورة عدم الذهاب بعيدا في لجوء تايلور إلى «الفبركة».

ذلك أنها كانت في عمقها «امرأة مستقلّة»، وأنها كانت تؤمن بما تقوم فيه. وهذا ما يراه واضحا في زواجها الأول من «نايكي هيلتون» عندما كان عمرها ١٨ سنة. لقد كانت «مراهقة رومانسية» وأظهرت حماسا كبيرا لذلك الزواج الذي يقرّبها من أحد أفراد أسرة هيلتون، مالكة الفنادق الشهيرة.

ولم تر أنهم دفعوها نحو هذا الزواج كي يخرج بنفس الوقت مع عرض فيلم «الأب العام للزوجة». وكان ذلك الزواج دعاية كبيرة ذلك أن اليزابيث كانت المتزوجة في الفيلم والمتزوجة في الواقع وحيث كانت النتائج غير تلك التي دارت في الفيلم.

لقد كانت «صادقة» و«مخلصة»، كما يلح المؤلف في القول ليؤكد بالوقت نفسه أنها «أتقنت كيف تتم اللعبة منذ البداية». لكنها حافظت دائما على «استقامتها» مع الجمهور ولم تكذب عليه أبدا كما فعلت غيرها من الممثلات. بل لا يتردد المؤلف في القول إنها «أحد أكثر النجوم أصالة من الذين «خرّجتهم» استوديوهات هوليوود.

وهذا بالتحديد ما يسميه المؤلف ب«ثقافة الشهرة».

ويعتبر أن اليزابيث تايلور أقامت أكثر من أية ممثلة أخرى نوعا من «الجسر» بين هوليوود القديمة وهوليوود الجديدة.

هوليوود القديمة التي يمثّلها النقّاد المحافظون وأرباب «الاستوديوهات» الذين أرادوا استخدام «الفضائح» من أجل تدمير اليزابيث تايلور لكن هذه وجدت حولها «نوعا» جديدا من رجال الدعاية الذين عرفوا كيف يغيّرون «مفهوم الخبر» وخرجت «نجمتهم» من كل تلك القصص أكثر شهرة.

إن الملامح الأساسية التي يرسمها المؤلف لصورة إليزابيث تايلور هو أنها جمعت بين الذكاء والجمال والنفوذ. وإذا كانت قد «تخلّصت» من عدد من الأزواج فقد عرفت دائما كيف تحتفظ باللألئ. وقد عاشت حياتها «كملحمة بالقدر الذي سمحت فيه الظروف وفي إطار عالم النجومية الذي احتلّت فيه مكانة متفرّدة».

الكتاب: كيف تكون نجما سينمائيا: إليزابيث تايلور في هوليوود
تأليف: وليام ج. مان
الناشر: هوغتون ميفلن هاركور نيويورك

أوراق
العدد (1826)السنة السابعة -الاحد (20)
حزيران 2010

ابدت الكتب قوة هائلة من اجل الخير ومن اجل الشر طوال التاريخ المسجل للجنس البشري .. في هذه الصفحات سنقدم مناقشة لعشرة كتب كان لها تاثير في التاريخ والاقتصاد والثقافة والعلوم من عصر النهضة الى يومنا هذا انها كتب بالغة القوة نقدمها في ملحق (اوراق) والكتب من اختيار الدكتور روبرت داونز الرئيس السابق للمكتبة الوطنية الامريكية يبين بوضوح ذلك النفوذ الواسع للكتاب، كتاب داونز صدر في الخمسينيات من القرن الماضي اراد فيه المؤلف ان يقدم عرضا مثيرا للكتب من عدة عصور تبين القوة الهائلة للكلمة المطبوعة واثرها في التقدم البشري.

10 كتب هـزت العالم

١٢- فجر الطب العلمي -وليم هارفي

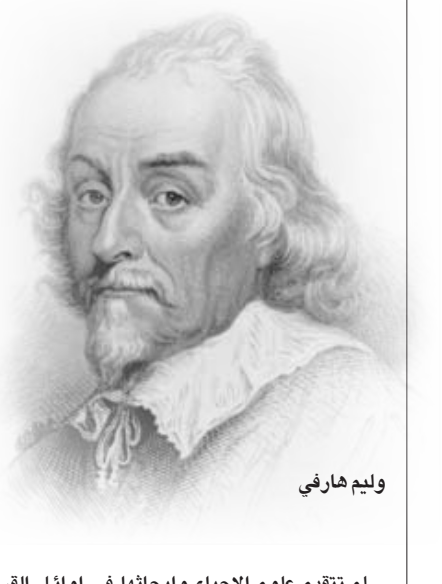

وليم هارفي

لم تتقدم علوم الاحياء وابحاثها في اوائل القرن السابع عشر الا قليلا من دراسة علم الفلك قبل كوبرنيكوسن وما زال الاطباء ومدارس الطب يمارسون ويعلمون نظريات التشريح ووظائف الاعضاء الخاصة بالقلب والشرايين والاوردة والدم التي تلقوها من الطبيب الاغريقي الاسيوي العظيم جالين الذي عاش في القرن الثاني.

لم تحدث اضافات مهمة لمدة تزيد على الالف عام الى معارف الانسان عن الدورة الدموية ووظائف القلب.. كان ارسطو يعلم ان الدم ينشأ في الكبد ومنه يذهب الى القلب، ثم خلال الجسم الى الاوردة، كان يعتقد ان القلب هو ايضاً مصدر حرارة الجسم ومقر الذكاء واعتقد ارازيستراتوس خريج مدرسة الاسكندرية ان الشرايين تحمل نوعا هادئاً من الهواء او الروح.

فصحح جالين هذه الفكرة اذ اكتشف ان الشرايين تحمل دما وليس هواء، غير انه لقرون عدة بعد عصره.. كان الاطباء مقتنعين بان روحا او نحوه تلعب دورا في جهاز الدم، وربما كان ذلك لانعاش القلب.

لم يجرؤ على مناقشة السابقات والمعتقدات الموروثة عن القدماء سوى اعظم العلماء جرأة، كانوا يعتبرون ما كتبه جالين من اصل مقدس لايمكن ان يتطرق اليه الجدل او الشك، وتبعاً لجالين ايضا، كان الكبد مركز الجهاز الدموي.. فقال ان الطعام المهضوم يحمل الى الكبد حيث يتحول الى دم مع اضافة "روح طبيعي" وان الدم يسير في الامام والى الخلف عن طريق كل من الاوردة والشرايين كما يفعل المد والجزر في البحر.

يختلف الدم الشرياني الاتي من احد جوانب القلب مع الدم الوريدي من الجانب الاخر مسام دقيقة.

وعلى مر القرون، اضيفت الى تلك الحقائق الطبيعية كثير من الخزانات عن الدم، كان للدم صفة مقدسة اكثر من أي جزء من اخر في الجسم كما يتضح من استخدامه في الذبائح الدينية، وسكب الدم على مذابح الالهة. عندما جاء عام ١٦٠٠ كان التغير في الجو قد عم كل مكان.

لم تعمل النهضة في اوروبا على احياء الادب فحسب، بل شملت ايقاظا ذهنيا اثر في العلوم الطبيعية.. كان ذلك العصر عصر جاليلو وكيلر وهارفي وباكون وديكارت ، وفي ايطاليا قبل ذلك بخمسين عاما، اثبت اندرياس فيساليوس عدم وجود المسام التي وصفها جالين.

ولم تكن هناك اية علاقة مباشرة بين حجرتي القلب، وفي حوالي نفس الوقت ابدى سرفيتوس الذي احرقه جون كالفين فيما بعد، ابدى اعتقاده بأن الدم يدور خلال الرئتين ولكنه لم يعترف بان القلب عضو ضاخ، وكذلك اقترح ريالدو وكولومبو استاذ التشريح في روما، فكرة الدورة الدموية في الرئتين. وفي عام ١٦٠٣ زود فابريكيوس الباروابي ، العلم بحلقة اخرى عندما اكتشف ان للاوردة صمامات ، ولو انه لم يفهم الغرض منها، بل استنتج فقط انها كانت لمجرد العمل على بطء سير الدم الى الاطراف.

وهكذا كان لهؤلاء ولنفوس جريئة اخرى ان تتهور وتلقى شكا على العقيدة القديمة التي عرقلت التقدم الطبي خلال العصور الوسطى..

ومن ناحية اخرى لم يستطع احد الوصول الى الحقيقة الكاملة. فاسهم كل واحد بقدر كبير نحو كشف اللثام عن الدورة الدموية ووظائف القلب، ولكنه توقف في كل حالة بجواب جزئي او غير كامل.. اما اكتشاف وصياغة مجموعة منتظمة ومبوبة من النظريات، فقدمه العقل اللامع الحاد للطبيب الانكليزي وليم هارفي.

وبعد ان تخرج هارفي الشاب في كامبيردج قضى اربع اعوام معظمها تحت قيادة المدرس الشهير الكفء فابريكيوس مكتشف صمامات الاوردة.

فتعلم كيف يشرح ويجري التجارب على شتى انواع الحيوانات وربما كا الفضل لنظريات فابريكيوس في متعته بالدورة الدموية التي لازمته طوال حياته.

لما عاد هارفي الى انكلترا في عام ١٦٠٢ بدأ منهج حياة قدر له ان يستمر مدة الخمسين عاما التالية كطبيب ومحاضر وكاتب. تزوج ابنة طبيب الملكة اليزابيث الخاص.. وبعد ذلك عمل كزميل في الكلية الملكية للاطباء، وكطبيب في مستشفى بارثولومبو وكطبيب لجيمس الاول وشارل الاول.

برغم هذا اولع هارفي طول حياته بالابحاث الطبية والتجارب اكثر من ولعه بممارسة الطب..

فبدأ في عام ١٦١٦ يلقي المحاضرات عن الدورة الدموية امام كلية الاطباء.. ولا تزال النسخة الخطية لمحاضرته موجودة، مكتوبة بخليط من اللاتينية والانكليزية بحط يكاد تتعذر قراءته..

وقد شرح بعض تجاربه في مذكراته واوضح انه في ذلك التاريخ اقتنع تماما بصحة نظرياته الشهيرة عن الدورة الدموية، فكتب يقول: "يتحرك الدم في دائرة مستمرة بدفع من ضربات القلب".

انصرمت اثنتا عشرة عاما قبل ان يستعد هارفي لنشر النتائج التي توصل اليها.

لماذا هذا التأخر في إعلان مثل ذلك الاكتشاف العظيم الى العالم؟ هناك تخمينات عدة في ذلك الخصوص.

فاقترح السير وليم اوسلر بقوله:" ربما كان باعثه في ذلك هو نفس باعث كوبرنيكوس الذي خشى تعصب البشر حتى قيل انه احتجز رسالته الثورية في خزانته لمدة ثلاثين عاما.

وبالفاظ هارفي نفسها.. ان نظرياته عن الدورة الدموية العامة: "جديدة ومن نوع لم يسمع به حتى انني لا اخاف فقط ايذاء شخص نتيجة حسد القليليين ، بل ارتجف لجعل البشر جميعاً اعدائي.. بوسع العادات والتقاليد ان تفعل الكثير اذا تحولت الى طبيعة اخرى، وان النظريات التي غرست وتغلغلت جذورها واستقر منذ القدم، ذات تأثير بالغ على جميع الناس"..

كذلك ما كان هارفي بالرجل المتهور الذي يندفع بسهولة الى المطبعة لينشر نظرياته اذ يرى: "ليست جموع كاتبي الخزعبلات الاغبياء باقل من اسراب الذباب في عز الصيف، وانهم ليهددون بحماقاتهم وتوافه كتاباتهم وانتاجهم الخاوي، بان يخنقونا عندما ندخن".

واخيرا بعد سنوات من التجارب والملاحظة، قرر هارفي ان الوقت قد حان ، وفي عام ١٦٢٨ ظهر في فرانكفورت بالمانيا كتيب من ٧٢ صفحة اعتبره كثير من اعلام الطب اهم كتاب طبي وضع حتى ذلك الوقت.. وبطبيعة الحال، كان ذلك الكتيب باللغة اللاتينية وهي اللغة العلمية العالمية.. كان عنوانه الكامل: أي "تمرينات تشريحية على حركة القلب والدم في الحيوانات".. ولسنا نعرف بالضبط السبب في صدور هذا الكتيب في المانيا بالذات ربما كان ذلك لان سوق الكتاب السنوية تعقد في فرانكفورت تضمن سرعة نشره وتداوله بين علماء القارة الاوروبية ولاشك في ان خط هارفي الرديء هو المسؤول عن العديد عن الاخطاء المطبعية.

بارك اهداءان كتيب "حركة القلب.. الاول الى شارل الاول حيث يشبه الملك في مملكته القلب في الجسم، ويتبع ذلك خطابا الى الدكتور ارجنت عميد الكلية الملكية وسائر الاطباء والدكاترة زملائه العظيمي القدر..

وفي الاهداء الثاني عبر هارفي عن رايه بوجوب قبول الحقيقة بغض النظر عن مصدرها، وان الحقيقة اكثر قيمة من التقاليد القديمة..فقال:"

اقرر انني اتعلم واعلم التشريح، ليس من الكتب وانما من التشريح العملي، ليس من مكان الفلاسفة بل من نسيج الطبيعة" ..

امسك هارفي بهذه العبارة بهدف وبروح البحث العلمي الحديث.

يتألف الكتاب في جوهره من مقدمة وسبعة عشر بابا تعطى وصفا واضحا متصلا لعمل القلب وحركة الدم الدائرية خلال الجسم كله.. وتستعرض المقدمة نظريات جالين وفابريكيوس وريالدو كولومب وغيرهم من قدامى الكتاب مبينا اخطاءهم في دقة وايضاح.

ذكر هارفي في الباب الاول بعض المشاكل التي واجهته في ابحاثه فكتب يقول: " وعندما وطدت العزم اولا على الاتجاه نحو تشريح الحيوانات الحية كوسيلة لاكتشاف حركات القلب ووظائفه ، وحاولت اكتشاف هذه في الفحص الفعلي، وليس مما كتبه غيري، وجدت هذا الفعل شاقا وملوثا بالمواد البرازية، وزاخرا بالصعاب حتى كدت اميل الى الاعتقاد مع فراكاستوريوس ان حركة القلب لايمكن ان يعلمها غير الله تعالى وحده.

فلم ادرك اولا متى يحدث الانقباض ومتى يحدث التمدد ، لا متى ولا اين يحدثان بسبب سرعة حركتيهما التي تتم في كثير من الحيوانات في لمح البصر، تجئ وتذهب في سرعة البرق الخاطف".

واخيرا اقتنع هارفي بانه بالامكان دراسة حركات القلب بصعوبة اقل في الحيوانات ذوات الدم البارد كالضفادع والثعابين وصغار السمك وسرطان البحر والجمبري والقواقع والمحاريات، اقل مما في الحيوانات ذوات الدم الدافئ..

فرأى في ذوات الدم البارد ان الحركات "ابطأ واندر".. كما كانت هذه الظواهر اسهل ملاحظة في الحيوانات ذوات الدم الادفئ عند الاحتضار لما يكون عمل القلب اخذا في البطء"..

لاحظ هارفي ، نتيجة لتجاربه، ان انقباض القلب يدفع الدم خارجا، وعندما ينقبض تتمدد الشرايين لاستقبال الدم..

ولما كان القلب عضلة تؤدي وظيفة نوع من المضخات ، يجبر الدم على الاندفاع في دوران مستمر.. وعند اجبار الدم على السريان داخل الشرايين.. فأنه يسبب النبض ":مثلما ينفخ المرء في قفاز".. وعلى نقيض نظرية المد والجزر القديمة فان الدورة الدموية تكون في اتجاه واحد..

اوضح هارفي ان الدم يمر من الجانب الايسر للقلب خلال الشرايين الى النهايات ثم يعود عن طريق الاوردة. الى الجانب الايمن لقلب.. عرفت حركة الدورة بربط اربطة حول الشرايين والاوردة.. في نقط مختلفة.. وبالاختصار ، اكتشف ان نفس الدم الذي تحمله الشرايين، تعود به الاوردة مكونة دورة كاملة.

وهكذا نرى وصف هارفي الرائع لهذه العملية اذ يقول: "تحدث هاتان الحركتان ، حركة البطينين وحركة الاذينين على التعاقب ولكن بطريقة فيها تناسق وايقاع بين الحركيتن، تحدثان بحيث تكون حركة واحدة هي "الظاهرة" وخصوصا في الحيوانات ذوات الدم الدافئ التي تكون فيها الحركتان سريعتان.

تحدث الحركتان كما لو كانتا في قطعة من آلة، فالبرغم من ان احدى عجلاتها تدير الاخرى فان جميع العجلات تبدو تتحرك في وقت واحد. او كأجهزة الاسلحة النارية حيث يلمس الزناد فينزل القداح ويضرب الصلب فيحدث شرارة تقع بين

البارود فيستعل ويحدث اللهب ويدخل انبوبة القذافة ويسبب الانفجار فيرسل القذيفة التي تصيب الهدف وبسبب السرعة التي تحدث بها كل هذه الحركات ، تبدو كأنها تقع في لمح البصر".

عندما فكر هارفي في ان حركة الدم دائرية، يجوز انه تأثر بقدامى الفلاسفة امثال ارسطو الذي كان يعلم ان الحركة الدائرية كاملة، وهي امثل الحركات جميعا، اما العالم الفلكي جوردانو برونو معاصر هارفي، فاستنتج ان الدائرة هي "الشعار والنمط الاساسيين لجميع الحياة والاعمال في الكون".. وجدير بالملاحظة ان هارفي استخدم في مقاله عبارات مثل "حركة كأنها في دائرة" و"يجوز لنا ان نسمي حركة الدم دائرية".

كانت طريقة هارفي دقيقة في البرهنة على الدورة الدموية". نعم كانت في مجملها دقيقة بدرجة رائعة، غير انه كانت هناك حلقة واحدة مفقودة.. كيف يذهب الدم من الشرايين الى الاوردة كان هارفي يعرف ان الدم يذهب الى الشرايين من الجانب الايسر للقلب ويعود من الاوردة الى جانب القلب الايمن.. ومع ذلك قال: "لم انجح قط في تتبع اية علاقة بين الشرايين والاوردة بالانفتاح المباشر بين فتحاتها"..

واذ كان ينقصه الميكروسكوب لم ير الاوعية الشعرية، وهي الاوعية الدقيقة التي تمر بداخلها كريات الدم من الشرايين الى الاوردة، برغم اقتناعه بضرورة وجود مثل هذه المجاري..

وقد حل هذا اللغز بعد موت هارفي ببضع سنين، حله مارسيلو ماليجي استاذ التشريح بجامعة بولونيا.زفعندما كان يفحص بميكروسكوب حديث الاختراع رأى شبكة الشعيرات الدموية تصل الشرايين بالاوردة كما تنبأ هرافي تماماً.. وهكذا كملت الخطوة الاخطيرة في البرهنة على الدورة الدموية.

لكي يتغلب هارفي على الوساوس، قدم مزيدا من البراهين على الدورة الدموية ومنها استعمال ما يعرفه علماء الطبيعة بطريقة الكم.. برهن على ان القلب يضخ في مدة ساعة، في ضرباته البالغة حوالي اربعة الاف ضربة.. كمية تربو كثيرا على جميع كمية الدم الموجودة في الجسم.. فاذا قبس الدم الذي يرسله القلب في يوم واحد ، وجد ان كميته تزيد كثيرا على جميع الطعام المأكول والمهضوم وبذا برهن على خطأ نظرية جالين القديمة، فكتب هارفي بقول: "بالاختصار ، لايمكن توريد الدم بطريقة اخرى غير عمل دورة والعودة".

هناك براهين اخرى على الدورة الدموية تأتي من تأثير السموم على الجسم:

"نرى في حالة الامراض المعدية وفي الجروح المسمة ولدغات الثعابين وعضات الكلاب المسعورة والزهري وما اشبه، ان الجسم كله يتسمم بينما تكاد اماكن الاصابة ان تخلو من الاذى او تشفى.. لاشك في ان العدوى التي اصابت اولا بقعة معينة، نقلها الدم العائد الى القلب ومنه انتشرت بعد ذلك في جميع اجزاء الجسم.. قد يفسر هذا ايضا السبب في ان العقاقير الطبية المستعملة فوق الجلد.. يحدث لها نفس الاثر كما لو كانت قد اخذت عن طريق الفم"..

كان استعمال هارفي للحيوانات في اغراض التجارب امرا جديدا، وكان يعتقد: "من رأيي انه لو كان علماء التشريح خبراء في تشريح الحيوانات الدنيا كما هم خبراء في جسم الانسان لزالت الامور التي حيرتهم ولنزعت عنهم الشكوك.. ولقضت على كل ما قابلهم من صعاب".. يمكن اعتبار هارفي بحق واحدا من مؤسسي علم التشريح المقارن. فيذكر مثلا، تجارب على الاغنام والكلاب والغزلان والخنازير والطيور والكتاكيت في البيض والافاعي والاسماك وثعابين السمك والعلاجم والضفادع والقواقع والجمبري وسرطان البحر والمحاربات والاصداف والاسفنج والديدان والنحل والزنابير واليعاسيب والجنادب والذباب والقمل.

"لاحظت وجود قلب لجميع الحيوانات تقريبا، ليس فقط في الحيوانات الكبيرة ذوات الدم كما يقرر ارسطو، بل وكذلك في الحيوانات الصغرى عديمة الدم.. كالقواقع ذوات المحار والقواقع عديمة المحار وسرطان البحر و الجمبري وكثير غير هذه. وحتى في الزنابير واليعاسيب والذباب فقد استخدمت عدسة فرأيت قلباً نابضاً في الجزء العلوي مما يسمى بالذنب واطلعت غيري عليها حية. ففي هذه الحيوانات عديمة الدم، ينبض القلب ببطء ، منقبضا في بطء كما في الحيوانات الراقية المحتضرة.. يرى هذا بسهولة في القوقعة حيث يقع القلب في قاع الفتحة الواقعة على الجانب الايمن، والتي تبدو تفتح وتقفل عند اخراج اللعاب..

وعلاوة على اكتشافات هارفي الشهيرة هذه، كان اعظم اسهام له في خدمة العلم والابحاث الطبية هو الطرق المعملية او التجارب.. فقد وضع الاساس الذي بنى عليه علم وظائف الاعضاء والطب لمدة تزيد على ثلاثة قرون.. كان الاساس ، كما قرر هارفي نفسه: "ان ابحث وادرس اسرار الطبيعة عن طريق التجارب".. كان للطب تاريخ يرجع الى الاف السنين قبل مولد هارفي، تعلم الاطباء ان يدركوا ويصفوا بدقة الامراض الرئيسة التي تصيب الانسان.. وان الملاحظة برغم اهميتها ليست كافية.. وكثيرا ما تقود الى استنتاجات كلها خطأ.. كان هذا هو اعظم فرق بين هارفي واسلافه.. وتخطى هارفي الملاحظة السطحية، مقيدا قليلا بالخرافات أو باحترام النظريات القديمة.. فوضع فروضا وفحصها بالتجارب.. .

كان اول من استخدم الطريقة العلمية للتجربة من اجل حل المسائل البيولوجية، وقد حذا حذوه جميع من خلفه منذ عام ١٦٢٨.

من الممتع قبول معاصري هارفي لاكتشافه ، لم يكن كتابه موضوعا ادبيا، وربما لم يدرك هارفي نفسه عمق ما تضمنه..

ونشأ شيء من المعارضة من المحافظين والمتعصبين ، وقد كتب معاصروه ولنرونشيل، جون اوبرى يقول انه: "سمع هارفي يقول انه بعد ظهور كتابه عن الدورة الدموية اخذ يجري التجارب بجد، فقد ظنه العوام والسخفاء معتوهاً، وكان جميع الاطباء ضده".

عبر السير وليام تمبل عن شعور احد الاذكياء في ذلك العصر، فكتب عن مؤلفي كوبرنيكوس وهارفي، يقول:

"من المتنازع فيه ما اذا كان هذان اكتشافين حديثين او مقتبسين من اسس قديمة. وهل هما حقيقيان او غير حقيقيين فبرغم ان العقل قد يحبذهما اكثر من الاراء المضادة، فقلما يقبلهما العقل.

ولكي يقنعا البشر، يجب عليهما ان يتحدا، ولكن اذا كان هذان الاكتشافان العظيمان حقيقيان فانهما لم يحدثا تغييرا في نتائج علم الفلك ولا في ممارسة الطبن وهكذا كانا قليلي النفع للعالم ولو انهما جلبا الشرف العظيم لمؤلفيهما".

تجاهل هارفي ناقديه في معظم الحالات.. غير ان عداء مدرسة طب جامعة باريس حثه اخيراً على الخروج عن صمته.. وقام جون ريولان استاذ التشريح بمدرسة باريس يحث الكلية على تحريم تدريس نظرية هارف..فحاول هارفي التغلب على معارضته، فارسل الى ريولان بحثين في التشريح مدعمين بالادلة القاطعة، فيما يختص بالدورة الدموية، ونشر هذين البحثين في كتيب عام ١٦٤٩ أي بعد صدور كتاب "حركة القلب" باحدى وعشرين عاما، رد فيهما هارفي بالتفصيل على من تعرضوا على من تعرضوا لمؤلفه".

يبدي هارفي حزنه في البحث الثاني بقوله:

"فلما يمريوم او ساعة منذ مولد الدورة الدموية ، لا اسمع فيهما شيئا طيبا أو شريراً يقال عن اكتشافي هذا.. يذمه البعض فيقولون انه يشبه طفلا رضيعاً ضعيفا غير جدير بأن يرى النور، ويظن البعض ان هذا الطفل يستحق الحب والعناية، فيعارضه هؤلاء بعناد شديد، ويحميه اولئك بكثير من التوصية.

يقرر احد الطرفين انني برهنت تماما على الدورة الدموية بالتجارب والملاحظات والفحص العيني ضد كل قوى الجدل. ويظن الطرف الاخر انني لم اوضحها بما فيه الكفاية ، ولم اسلم من جميع المعارضات.. كما ان هناك بعضا اخر يقول انني ابديت ، في غرور ولعا بالغا بتشريح الكائنات الحية، ويسخرون من تقديم الضفادع والثعابين والذباب وغيرها من الحيوانات الدنيا على المسرح.. ولكي ارد على الاقوال الشريرة باقوال شريرة مثلها اقرر انني لست جديرا بالفلسفة والبحث وراء الحقيقة.. واعتقد كذلك انه من الخير والاصح لي أنني اذا التقيت بالكثير من امثال هذه المعارضات والنوايا السيئة.. ان اقابلها في ضوء الملاحظات الاكيدة والامينة والقاطعة".

ولحسن الحظ، عاش هارفي ليرى القبول العام لنظرياته بين الاكفاء ليحكموا عليها.. وان تعيينه عميدا لكلية الطب في عام ١٦٥٤ ، قبل وفاته بثلاثة اعوام..لدليل على سمو منزلته بين زملائه في المهنة.

كذلك العبارة اللاتينية المكتوبة على قبر هارفي تدل بوضوح على ما رأى معاصريه فيه:

"وليم هارفي، الذي تقوم جميع الاكاديميات احتراما لاسمه الموقر، كان الاول بعد هذه الاف من السنين، الذي اكتشف حركة الدم اليومية، وبذا جلب الصحة للعالم والخلود لنفسه، ذلك الشخص الوحيد الذي خلص اصل الحيوان واجياله عن الفلسفة الكاذبة، والذي يدين له الجنس البشري باكتسابه المعارف، ويدين له الطب بوجوده،

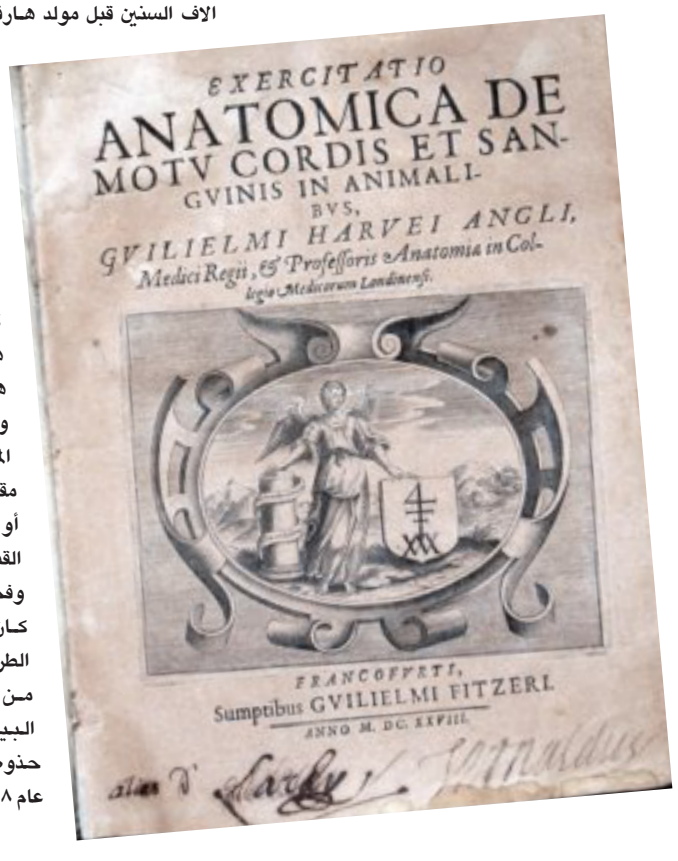

خزانة المدى

باسم عبد الحميد حمودي

نفح الطيب للمقري

ولد شهاب الدين ابو العباس أحمد بن محمد المقري في قرية (مقرة) في تلمسان بالجزائر في سنة بين٩٠٢-٩٠٨ على أستنتاج محمد عبد الله عنان في كتابه (تراجم اسلامية) وليس سنة ١٠٠٠ كما هو قول ليفي بروفنسال، ودرس على يد عمه مفتي تلمسان، ثم انتقل الى فاس ومراكش لزيادة علومه.

اتصل المقري بالسلطان زيدان السعدي سلطان مراكش الذي كان في حرب دائمة مع أخويه، واضطر المقري للسفر الى الديار المقدسة سنة ١٠١٨ للتخلص من محن الحروب واكتساب نوع من الصفاء والمعرفة ، وجاور المقري بيت الله الحرام عشرة اعوام ثم غادر الديار المقدسة الى مصر ومنها الى بيت المقدس ثم دمشق حيث أرسل له الاديب أحمد بن شاهين مفتاح المدرسة الجقمقية فسكن دمشق مدة واتصل بشيوخها وأملى صحيح البخاري على تلامذة له بالمسجد الجامع ،وأتمه في احتفال كبير جرى له في السابع عشر من رمضان سنة ١٠٣٧ .

طلب منه صديقه أحمد الشاهيني أن يقوم بتأليف كتاب عن الوزير الاندلسي الاديب الشاعر لسان الدين بن الخطيب، فوعد بذلك على أن يتم العمل عند استقراره في القاهرة برغم معاناته في البعد عن الاهل والوطن وندرة مراجعه المصاحبة له في ادب بلاد المغرب .

شرع المقري بالتأليف بعد حين فقسم الكتاب الى قسمين ، القسم الاول منه عن الاندلس وأخبارها والثاني في التعريف بلسان الدين بن الخطيب .

القسم الاول من (نفح الطيب) يتكون من ثمانية أبواب ، الباب الاول في وصف جزيرة الاندلس وجغرافيتها ، والثاني في فتحها على يد موسى وطارق والثالث في عزتها بالاسلام والرابع عن قرطبة وقصو رهاومتنزهاتها والخامس في التعريف برجال الاندلس الذين ارتحلوا الى المشرق والسادس في ذكر بعض الوافدين على الاندلس من المشرق والسابع في صفات سكان الاندلس من نباهة والثامن في ذكرتغلب العدو على الجزيرة وتفريقه بين رؤسائها .

القسم الثاني من الكتاب يختص بالتعريف بلسان الدين بن الخطيب وذكر انبائه وينقسم الى ثمانية فصول تتضمن تفاصيل عن مولده وحياته ونشأته وشيوخه واستيزاره ونجاحه في عمله وما لقي من حسد الحاسدين حتى وفاته ، اضافة الى ذكر تلاميذه وأحوالهم وشعره ونثره .

في كل باب من ابواب الكتاب يضع المقري أمام القارئ الكثير من المعلومات التاريخية والمعمارية والثقافية وتر اجم الرجال .

للمقري كتب اخرى غير نفح الطيب منها كتابه:(أزهار الرياض في أخبار عياض)) و((الشفا في التعريف بحقوق المصطفى)) وسواهما . توفى شهاب الدين ابو العباس أحمد بن محمد المقري سنة ١٠٤١ ودفن بالقاهرة

للمقري في وصف مدن الاندلس: أشبيلية وغرناطة وطليطلة وبلد الوليد بلاغة لا احلى منها ولا أحوط فهو يتحدث عن المدينة وينقل عن كتابها وروادها اجود ما قالوه فيها شعرا ونثرا ، لذا عد كتابه هذا موسوعة أدبية اضافة الى قيمته في التاريخ والبلدانيات وعلم الرجال.

خطابات غيرت القرن العشرين

الليندي

السادات

موسوليني

إضافة إلى خطب الرؤساء يضم الكتاب خطابات لعسكريين أو سياسيين قادوا بلادهم في مراحل حروب، كخطاب الجنرال بيتان الذي ألقاه من مدينة فيشي الفرنسية في ١٧ حزيران/يونيو ١٩٤٠، والذي كان يومها أمل الفرنسيين وقبلتهم، والحكيم الذي يؤمر فيطاع، وأعلن فيه استسلام فرنسا لألمانيا النازية حفاظاً على إرثها الثقافي والتاريخي وصوناً لأرواح مواطنيها، وخطاب الجنرال ديغول الذي ألقاه من إذاعة لندن بتاريخ ١٨ حزيران/يونيو ١٩٤٠، وأعلن فيه بداية المقاومة الفرنسية، ليتحول الرجل المغمور والمعروف فقط على نطاق ضيق داخل المؤسسة العسكرية،

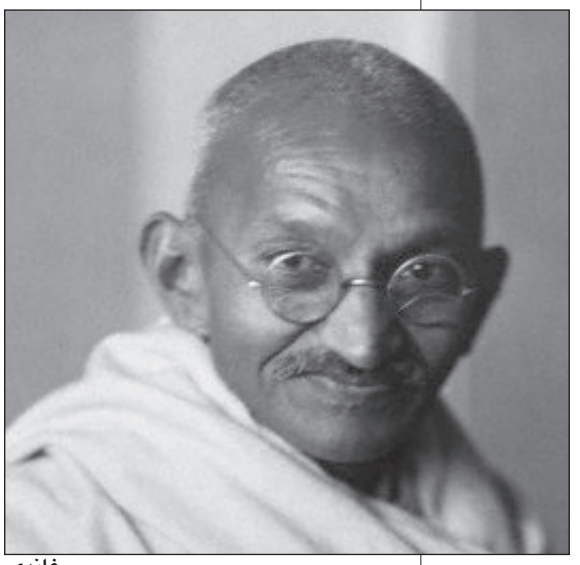
غاندي

يرقى كتاب "أحلم: هذه الخطابات التي غيرت العالم" الذي اختار فيه دومينيك جاميه مايزيد على عشرين خطاباً ألقاها رؤساء وسياسيون وعسكريون وقادة ثورات وزعماء روحيون خلال القرن العشرين، وكان لها أثر في تغيير العالم كله أو المحيط الجغرافي والبشري لصاحب الخطاب، يرقى هذا الكتاب في الأقل في فكرته إلى مستوى الابداع، فهو وعبر اختياراته لهذه الخطب لايقدم فقط بورتريهاً سياسياً للشخص صاحب كل خطاب، ودوره إن على مستوى أمته أو العالم، بل أيضاً تكشف هذه الخطابات رومانسية السياسي (إن جاز التعبير) بعيداً عن الديماغوجية والمواقف البراغماتيه التي اعتاد السياسيون أن يلعبوا أدوارهم من خلالها، فأهم مايجمع خطابات الكتاب وكما يظهر من عنوانه هو الحلم، وأخطر وأهم الانجازات التي تحققت في القرن الماضي بدأت بحلم بسيط مرّ في جملة، أو حملته عبارة في إحدى الخطب التي يحويها الكتاب.

وإضافة إلى تأكيده الحلم الذي يمكن أن يصنف في خانة النبوءة بالنظر لما حدث لاحقاً في حالة بعض الأحلام التي تمر في خطب الكتاب، يقدم الكتاب إطلالة واسعة ومن شرفة عالية على أهم محطات القرن العشرين، وسياسات الدول الرئيسية التي أنتجت حربين كونيتين وعشرات الحروب الاقليمية، وكذلك أهم الأفكار وحركات التحرر والثورات التي كانت إحدى أهم سمات هذا القرن.

يضم كتاب "أحلم: هذه الخطابات التي غيرت العالم" بعض الخطابات التي تعتبر تاريخية لعدد من الرؤساء الأمريكيين كخطاب الرئيس توماس ويلسون الذي ألقاه في في الثامن من كانون الثاني/يناير ١٩١٨ وأعلن فيه ما عرف بمبادئ ويلسون الأربعة عشر، وما شكل برنامج سلام للعالم كله بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، ويظهر فيه الرئيس الأمريكي كرجل سلام، مع أن الاقتراحات والتقسيمات الدولية التي اقترحها آنذاك هي التي مهدت للحرب العالمية الثانية، كونها أغفلت القوميات والتحالفات الناشئة على أنقاض الإمبراطوريات الهنغارية النمساوية والألمانية والعثمانية، وخطاب القسم المتفائل للرئيس فرانكلين روزفلت الذي ألقاه بعد فوزه في الانتخابات الرئاسية عام ١٩٣٣ في ذروة الأزمة الاقتصادية، ووعد فيه الأمريكيين بتجاوز الكارثة، وخطاب القسم للرئيس جون كنيدي الذي ألقاه في مجلس الشيوخ الأمريكي عام ١٩٦١ غداة تسلمه مهامه الدستورية، واختصر فيه كل أحلام الأمريكيين بالاقتصاد، وغزو الفضاء، والمساواة بين السود والبيض، وهي كلمات سمعها الأمريكيون في ذلك الوقت غير مصدقين، لكن كنيدي أنجز الكثير مما وعد به وفي فترة قياسية، وكذلك خطاب كندي في برلين المسورة والمعزولة عن محيطها الألماني بأسوار الشيوعية والاسمنت، وكان خطاباً يفتح أبواب الأمل أمام الألمان المنقسمين بين داخل وخارج السور، وبدا وقتها أقرب إلى حلم ساذج، وتفاخر غبي في غير محله، لكنه تحوّل فيما بعد في تسعينيات القرن الماضي من رؤية خيالية في رأس كيندي إلى حقيقة واقعة، وخطاب الرئيس التشيلي الراحل سلفادور الليندي الذي ألقاه من القصر الرئاسي بواسطة إذاعة محلية يو م ١١ أيلول/سبتمبر ١٩٧٣ قبل ساعات قليله من مقتله، وعندما كانت قوات جيشه البرية تحيط بالقصر الرئاسي، والطائرات تقصفه، في انقلاب الجنرال بيونيشه عليه، وعلى ثورته وحلمه بتحرير أمريكا الجنوبية من الامبريالية الأمريكية، وخطاب الرئيس المصري الراحل أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي في القدس بتاريخ ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٧ الذي أعلن فيه مبادرته للسلام، منهياً حالة الحرب بين مصر وإسرائيل، كخطوة لارساء السلام الشامل لكل شعوب المنطقة، وإغلاق ينابيع الحقد والكراهية بين العرب واليهود، وخطاب الرئيس الفرنسي الاشتراكي الأسبق فرنسوا ميتران الذي ألقاه في المكسيك عام ١٩٨١، بعد ستة أشهر من وصول الاشتراكيين إلى السلطة في فرنسا، وظهر خلاله وكأنه يحمل عقيدة كاسترو وتصميم غيفارا، وفي موجة الحماس العارم صرّح عن بعض الخطوات الاشتراكية مما سارع بهروب رؤوس الأموال الفرنسية خارج البلاد، لكنه لم يلبث أن تحول إلى الأفكار الليبرالية في الاقتصاد خوفاً من انهيار العملة الفرنسية والكوارث الاقتصادية، والخطاب المليء بالعبر والعزيمة الذي ألقاه نيلسون مانديلا وهو يتسلم سلطاته الدستورية رئيساً لدولة جنوب إفريقيا بعد انهيار نظام الفصل العنصري، وكان قد خرج لتوه من سجن احتجز فيه ٢٨ عاماً، بمفاهيم مختلفة عن تلك التي دخل بها، شامخاً ومتسامحاً وكبيراً، وخطاب الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك الذي ألقاه عام ١٩٩٥ في ذكرى نزول الشرطة الفرنسية إلى ميدان باريس الشتوي لقمع اليهود تنفيذاً لأوامر النازيين، معتذراً ليهود فرنسا والعالم بسبب التصرف الذي بدر من قسم من الشعب الفرنسي.

وإضافة إلى خطب الرؤساء يضم الكتاب خطابات لعسكريين أو سياسيين قادوا بلادهم في مراحل حروب، كخطاب الجنرال بيتان الذي ألقاه من مدينة فيشي الفرنسية في ١٧ حزيران/يونيو ١٩٤٠، والذي كان يومها أمل الفرنسيين وقبلتهم، والحكيم الذي يؤمر فيطاع، وأعلن فيه استسلام فرنسا لألمانيا النازية حفاظاً على إرثها الثقافي والتاريخي وصوناً لأرواح مواطنيها، وخطاب الجنرال ديغول الذي ألقاه من إذاعة لندن بتاريخ ١٨ حزيران/يونيو ١٩٤٠، وأعلن فيه بداية المقاومة الفرنسية، ليتحول الرجل المغمور والمعروف فقط على نطاق ضيق داخل المؤسسة العسكرية، ولا يملك إلا الأحلام وروح المقاومة، بعد الحرب إلى رجل تُختصر فرنسا بشخصه، وخطاب الزعيم البريطاني ونستون تشرشل الذي ألقاه بعدما كلفه الملك جورج الخامس بتشكيل وزارة جديدة تحت وقع قصف الطائرات الألمانية للندن، وتقهقر الجيوش البريطانية أمام الألمان في كل الجبهات، وقال فيه ليس لدي شيء أقدمه سوى الدم والألم والدموع والعرق، واختصر سياسته بجملة واحدة هي شن الحرب براً وبحراً وجواً بهدف النصر، رغم أنه كان قبل تكليفه الإنقاذي بالوزارة رجلاً منبوذاً محبطاً، خسر سمعته السياسية نتيجة حملته في بحر الدردنيل، وحُمّل مسؤولية القرار الكارثي في الاقتصاد

البريطاني عندما ربط الجنيه بالذهب سنة ١٩٢٤، إلاّ أنه وبعد ربع سنوات أصبح رجل انكلترا الأوحد، والكنز الدفين التي وجدته انكلترا في ساعة الشدة.

كما يضم الكتاب مجموعة من خطب الثوريين والدعاة والزعماء المدنيين والدينيين التي أثّرت في القرن العشرين، كالخطاب المثالي للمهاتما غاندي الذي ألقاه في جينيف عام ١٩٣١، ويدور حول المقدرة على قول لا ونبذ العنف، وأعلن فيه غاندي تبنيه لفلسفة اللا عنف سبيلاً لحل كل مشكلات الكون، وخطاب الداعية الأمريكي ورجل الحقوق مارتن لوثر كينغ الذي ألقاه في ذكرى الرئيس الأمريكي لنكولن محرر العبيد، وبدا حينها خطاباً متفائلاً إلى حد البلاهة في ظروف غاية في التعقيد، حيث التمييز العرقي في أوجه، ففي الوقت الذي كان فيه البيض يساوون بين الكلاب والسود في أدبياتهم وحياتهم العادية، وقف مارتن لوثر كينغ ليقول بكلمات هادئة وواثقة أنه سيأتي اليوم الذي تدق فيه أجراس الحرية في كل مكان، والذي سيتمكن فيه أبناء الله السود والبيض، اليهود وغير اليهود، البروتستانت والكاثوليك من شبك أيديهم معا وإنشاد أغنية الزنجي العجوز: وأخيرا نحن أحرار، وخطاب أشهر ثوّار القرن العشرين أرنستو تشي غيفارا الذي ألقاه في الجزائر العاصمة عام ١٩٦٥، عندما حضر على رأس وفد حكومي كوبي للمشاركة في الذكرى الثانية لتحرير الجزائر، وبدا فيه أن الثورة هي منظاره الوحيد للكون، وكان مستعداً لإفناء الجنس البشري في سبيلها، إلى الحد الذي وصفه خصومه آنذاك بخطيب الموت، وخطاب الزعيم الروحي للتبت الدلاي لاما الذي يعرض فيه مشكلة التيبت مع الصين بشكل تاريخي وموجز متوقفاً أمام المحطات المهمة في تاريخ التيبت ، ومع مسيرة ماو تسي تونغ المظفرة، في تأسيس الصين الشعبية وضمه لكل ما استطاع ضمه من أراضي الجوار والدول الضعيفة، فكان نصيب التيبت هو الاحتلال وقرارات الدمج السكاني على مدى عقود، وخطاب الزعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات الذي ألقاه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في جنيف بعد أن رفضت واشنطن منحه تأشيرة دخول لأراضيها عام ١٩٨٨، والذي أعلن فيه انتهاء العنف بين الفلسطينيين والاسرائيليين، وبشر بعهد السلام والقدرة على التعايش، وتأسيس دولة فلسطين.

تجمع خطب كتاب "أحلم: هذه الخطابات التي غيرت العالم" في ثناياها أقصى درجات الحلم والثورة والجمود العقائدي، ويبيّن كل خطاب شخصية صاحبه، وبماذا كان يفكر وفيم كان يحلم، مظهرةً التنوع بين شخصية القيادي العقائدي الواثق من مخزونه النظري وصلابة إرادته وقراءته المعمقة للتاريخ كما في نموذج النائب الاشتراكي الفرنسي جان جوريس على سبيل المثال، واختلاط الأفكار الثورية بالدموية والقتل من خلال أفكار الثورة الدائمة في نموذج غيفارا، وعدم إدراك المحيط العنفي لدى شخصيات مثل غاندي والسادات وعرفات الذين دعا كل منهم بطريقته وأسلوبه إلى اللاعنف والسلام، وذهب كل منهم ضحية مشروعه ورؤاه، لكنه وقبل كل هذا يثبت (الكتاب) أن كل تغيير حدث في العالم بدأ بحلم، ونظر إليه في وقته على أنه ضرب من الخيال إن لم يكن من الجنون.

الكتاب: أحلم/ هذه الخطابات التي غيرت العالم.
اختيار وتقديم: دومينيك جاميه
ترجمة: ليلى الصواف و يارا شعاع
الناشر: دار شعاع للنشر/حلب

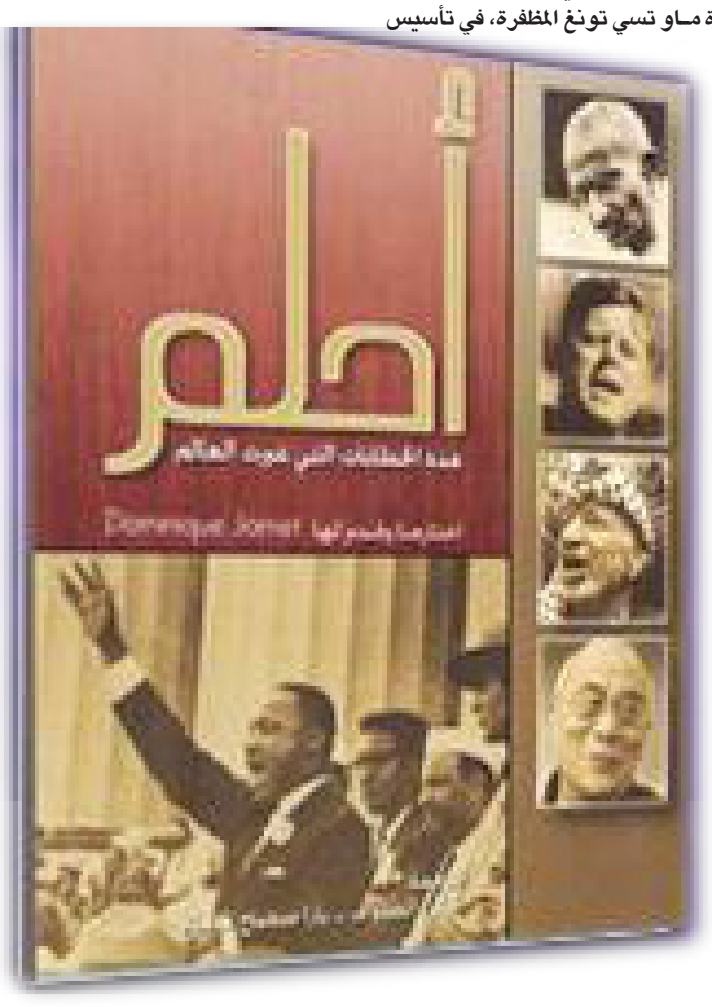

دوبريه: المال والصورة يحكمان العالم

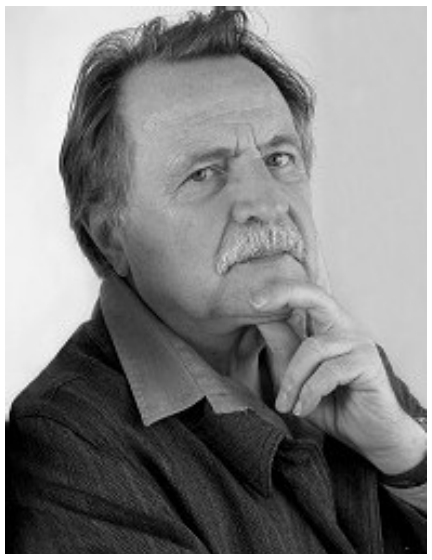

أين يمكن تصنيف ريجيس دوبريه اليوم؟ ليس من السهل ذلك. فالمفكر الثوري السابق الذي اقترب لفترة من مواقع السلطة في عهد الرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتران، حيث كان مستشاره لشؤون أميركا اللاتينية، أصبح يوصف أحيانا بالفوضوي وأخرى بالديغولي، بعد أن كان قد قدّم كتابا عن سيرة حياة الجنرال، ومرات بالاشتراكي . الديمقراطي الذي تخلّى عن كل فكر ثوري. هذه التوصيفات المتنوعة أراد ريجيس دوبريه أن يأخذ مسافة عنها في كتابه الجديد الذي يحمل عنوان «سبل مفتوحة».

وفي البداية يشير دوبريه إلى أن المجتمع الفرنسي المتعدد الثقافات والذي يزعم أنه منفتح أمام جميع التيارات يبدي الكثير من الحذر حيال أولئك الذين لا ينتمون إلى أي تيار محدد وخاضع لمقاييس متفق عليها. نقرأ: «إننا نتحدث بكثير من الحماس عن التمازج وعن الجمع بين عدة صفات في كل شيء، لكن الويل لمن ترتبط فيه مثل هذه الصورة».

المادة الأساسية في هذا الكتاب هي مجموعة المقالات التي كان المؤلف قد نشرها في مجلته التي تحمل عنوان: «ميديوم». وقد اختار له عنوان: «سبل مفتوحة» وما يعادل «أشكال فك الارتباط» وجعل العقل بعيدا عن الارتهان. ويشير إلى أن اهتمامه الأول في هذا العمل ليس الكشف عن آليات عمل وسائل الإعلام ولا دراسة فن الاتصال والمعلومات، أي المواضيع التي أولاها دائما اهتمامه في مجلته. ولكن اهتمامه بالأحرى هو ب«الأشياء الصغيرة التي تصنّع الأشياء الكبيرة».

المثال الذي يذكره عن الأشياء الصغيرة التي تصنع الكبيرة يجده لدى نابليون بونابرت الذي كان «يراقب عن قرب واهتمام حدوات الأحصنة. إذ بدون حديد لن يكون هناك حدوة، وبدون حدوة لن يكون هناك سلاح الفرسان، وبدون فرسان لن يكون هناك جيش، وبدون جيش لن يكون هناك انتصار، وبدون انتصار لن تكون هناك غنائم، وبدون غنائم لن تكون هناك إمبراطورية». هكذا إذن الأشياء الصغيرة «ضرورية» من أجل تحقيق الأشياء الكبيرة.

وهكذا انطلق دوبريه من ملاحظة التفاصيل التي قد تبدو بلا قيمة كبيرة كي يصل من خلالها إلى ما هو أساسي. إنه يستلهم من كل شيء: من لوحات أرقام السيارات ولباس المحامين والقضاة والبناء الذي يضم صالات البورصة والمضاربات المالية وصور باريس وهي تحت الاحتلال.

وكان دوبريه قد تعوّد أن ينشر بانتظام في مجلته زاوية تحت عنوان: «فكر هزيل».

ولكنه بالتأكيد لم يكن هزيلا إلى الدرجة التي يقولها، بل لم يكن هزيلا على الإطلاق، كما تدل محتويات هذا الكتاب التي جمعتها. فكل عملية «فك ارتباط» تشتمل على دعوة للتفكير والتأمّل وولوج «سبل مفتوحة». هذا إذا لم يكن للاحتجاج على نمط الفكر السائد نمط السلوك السائد. احتجاج ضد ما يسميه المؤلف بالنظرة القصيرة والذاكرة ذات المدى المحدود ووهم «البشر الهامّين».

ويؤكد ريجيس دوبريه أن «غياب الذاكرة» يعبر في السياق الحالي عن «نزعة محافظة» وليس التمسك بها، وعندما يتحدث عن الهمّ البيئي، الايكولوجي، فإنه يركّز على فكرة مفادها أن أهمية الأرض تأتي أولا من البشرية. ويذكّرنا أنه بحجّة المحافظة على الطبيعة لا ينبغي أبدا أن «نلقي التاريخ» من فوق طواحين وسائل الإعلام. إنه يريد في هذا الكتاب «فك ارتباطه» مع أي انتماء يؤطره في فئة أو مدرسة أو تيار أو موضة أو حتى «مشرب» فكري حسبما هو سائد في التصنيفات الجامعية. هكذا عندما ينشر أحد كتبه لا يكون من السهل تحديد وضعه على أي رفّ، أي بين كتب الفلسفة أو الدراسة أو السياسة أو علوم الاتصالات والإعلام أو العلوم الإنسانية. الشيء الذي يُبدي ريجيس دوبريه أسفه حياله هو أنه لم يعش حياته في نهاية القرن التاسع عشر عندما كانت الكلمات «تحمل صاحبها». وهكذا يقوم في النصوص التي يحتويها هذا الكتاب بعملية نقد عنيف ضد مختلف أشكال الرياء والنفاق. كما يعلن غضبه حيال المظالم التي دفعته ذات يوم إلى أن يصبح «رجل عصابات» في غابات أميركا اللاتينية وحيث كاد أن يفقد حياته على خشبة الإعدام.

مثل هذا الغضب يظهر أثر منه في كل نص من النصوص التي يحتويها الكتاب، ومشوبا أحيانا بحس الدعابة، وذلك مهما كانت المواضيع التي يتعرّض لها وهي متنوعة تتراوح بين مشاهدة فيلم سينمائي أو زيارة معرض فني أو لقاءات كان أجراها مع شخصيات لم ينسها أبدا أو خبر هنا وهناك عن الرئيس نيكولا ساركوزي الذي يطلق عليه صفة «رئيسنا ومدير شركتنا» أو حضور ندوة ما أو عملية بيع بالمزاد العلني، أشياء صغيرة... صغيرة. لكنه يجد في كتاباته ما هو «كبير».

ومن الأفكار الثابتة التي تتكرر في هذه الكتابات تأكيد ريجيس دوبريه أن البشر يمرّون اليوم في فترة انتقالية. إذ ان عالما يتم تركه دون الدخول بشكل كامل في العالم الجديد. ويرى أنه من واجب البشر اليوم أن يبذلوا كل جهودهم كي «لا يخطئوا في الطريق».

و«الالتزام يعني التذكر». لكن ما يؤكده دوبريه هو أن التذكر مطلوب في جميع الميادين إنما شريطة أن يكون الهدف ليس «الاحتفال» بالماضي بل «التقدم» نحو المستقبل. كذلك لا تتم قراءة القدماء من أجل الهرب ولكن بغية الاقتراب من «البدء الإنساني المتجدد باستمرار». ولا يتم الاستشراء في الدفاع عن اللغة كتعبير عن موقف فقط ولكن كون اللغة هي «الإنسان نفسه».

وفي المحصلة يؤكد المؤلف سمتين أساسيتين تسودان العصر اليوم هما المال والصورة. وهكذا عندما تجمع صورة بين الرئيس نيكولا ساركوزي وصديقه جوني هاليداي، تلتفت الأنظار إلى «الثاني». ومجتمع الاستعراض أصبح سائدا في السياسة والفلسفة وكرة القدم وغيرها من المشارب.

الكتاب:سبل مفتوحة
تأليف: ريجيس دوبريه
الناشر: غاليمار باريس ٢٠١٠

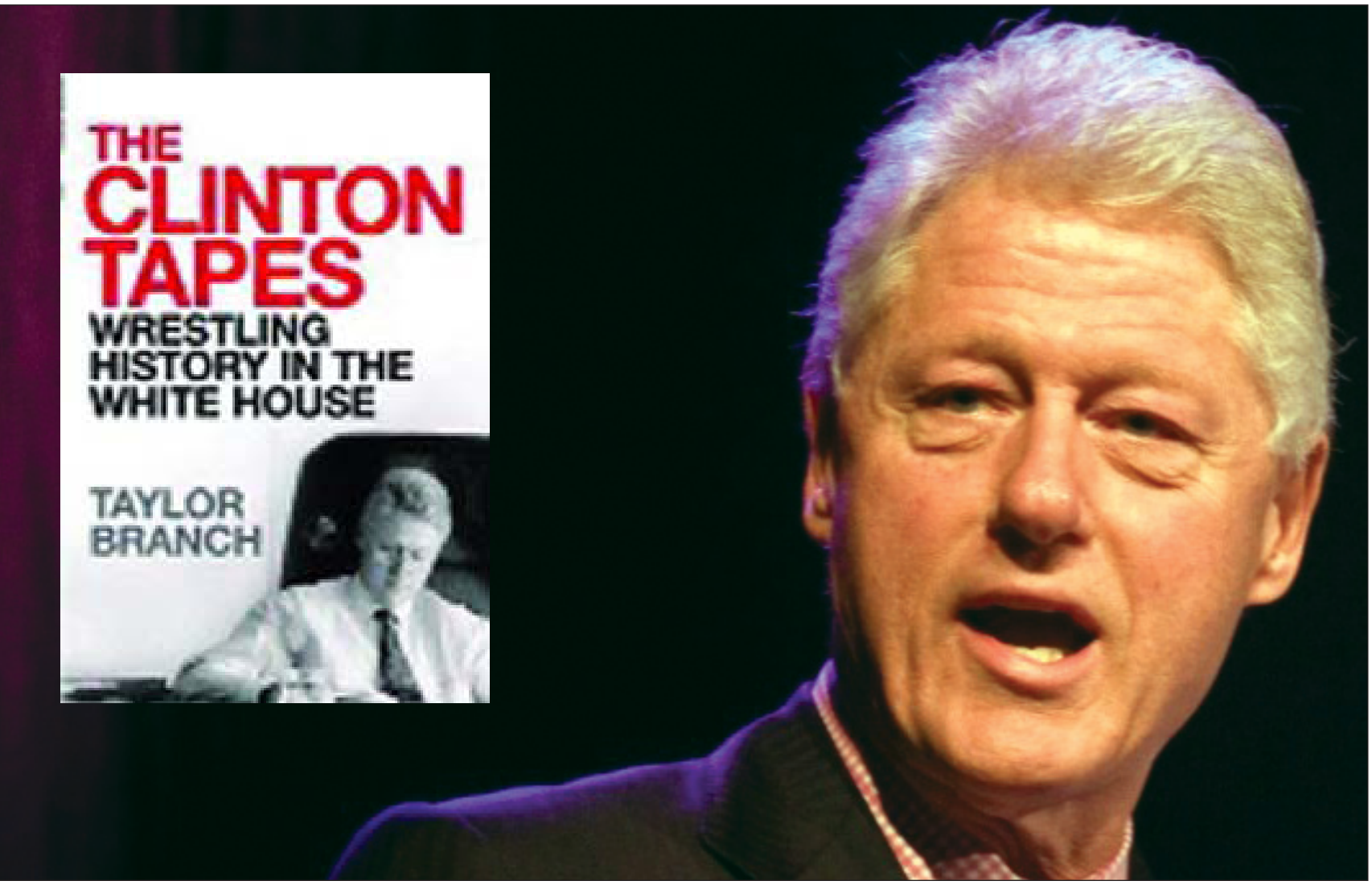

خلال زيارته إلى واشنطن عام 1995 كاد الرئيس الروسي الراحل بوريس يلتسين أن يتسبب بمشكلة دبلوماسية وإحراج لبلده ومضيفه الرئيس الأميركي بيل كلينتون. لقد شوهد على مسافة لا تزيد على 30 مترا من البيت الأبيض وهو ثمل ويرتدي فقط سرواله الداخلي ويحاول إيقاف سيارة أجرة لاستقلالها والذهاب إلى وسط البلد لتناول فطائر البيتزا. هذا ما قاله لرجال جهاز الأمن السري لدى محاولتهم إيقافه وإقناعه بالرجوع إلى بيت الضيافة القريب من البيت الأبيض والذي تستخدمه الحكومة الأميركية لضيوفها الرسميين.

مونيكا لوينسكي تلاحق كلينتون.. في كتاب جديد

تسجيلات تتطرق إلى قضايا شخصية وأحداث في البيت الأبيض

هذه الحادثة وأسرار أخرى بعضها طابعها دبلوماسي دولي وأخرى عائلية وجنسية وعلاقات شخصية ودولية، جاءت جميعها في تسجيلات على ٧٩ شريطا لمقابلات مع الرئيس الأميركي الأسبق بيل كلينتون قام بها مؤرخه الشخصي تيلار برانش خلال زياراته في ساعات متأخرة من الليل للبيت الأبيض لتسجيل ما كان يدور في الخفاء في أروقة البيت الأبيض. التسجيلات قام بها برانش بين ١٩٩٣ و٢٠٠١، والتي تغطي الفترة التي مكثها كلينتون في البيت الأبيض رئيسا للولايات المتحدة، والتي كان ينوي من خلالها تسجيل أدق التفاصيل وما كان يحدث في الخفاء خلال فترة إدارته. وحول علاقته بمونيكا لوينسكي كشف كلينتون في هذه التسجيلات أن الاتصال الذي تم بينه وبينها جاء بسبب الضغوط التي كان يواجهها على الصعيد السياسي والشخصي، بما في ذلك وفاة والدته وعدم حصوله على الأغلبية في انتخابات الكونغرس عام ١٩٩٤. وقال «لم أتحمل الضغوط وأصبت بالانهيار». في بداية التسجيلات بدا كلينتون مترددا في الحديث مطولا حول العلاقة خوفا من القضاء واستخدام التسجيلات في القضية. إلا أنه وبعد ٦ أشهر بدأ يتكلم بانفتاح وصراحة عن الموضوع.

وفي مقابلة مع صحيفة «يو.اس.ايه. توداي» قال تيلار برانش إن الرئيس كلينتون انزلق أكثر من مرة في هذا الاتجاه (يقصد العلاقات خارج الزواج)، إلا أنه كان مصمما أن لا يقوم بأي عمل من هذا النوع في البيت الأبيض. ومن وجهة نظره فقد نجح بمقدار ٩٩ في المائة، إلا أنه شعر بالحزن تجاه نفسه، وقام بما قام به وترك العنان لشهواته». تيلار برانش، الصديق الشخصي لبيل كلينتون، والذي عاش معه في غرفة واحدة عام ١٩٧٢ حينما أدارا حملة الرئاسية لجورج مغافارن، قد حول هذه الأشرطة التسجيلية إلى كتاب من ٧٠٠ صفحة والذي أسماه «أشرطة كلينتون.مصارعة التاريخ مع الرئيس»، والذي سينشر الشهر المقبل.

وجاءت حادثة يلتسين بعد واحدة من سهراته المتكررة في ساعات متأخرة من الليل. وكان الرئيس الروسي ضيفا في «بلير هاوس»، الذي تستخدمه الحكومة الأميركية لضيوفها من زوار واشنطن ويقع في «جادة بينسلفينيا» مقابل البيت الأبيض. وتمكن الرئيس الروسي من الإفلات من رجال جهاز الأمن السري. وبعد البحث عنه وجدوه يقف بسرواله الداخلي في وسط الشارع، وقال لهم بكلمات غير متزنة تبين حالة الثمالة إنه يريد تناول البيتزا. احتفظ الرئيس كلينتون بالتسجيلات في درج الجوارب في البيت الأبيض. وهذه تبين أيضا المحادثة بينه وبين نائب الرئيس الأسبق آل غور عندما ترشح الأخير للرئاسة وخسرها أمام جورج دبليو بوش. وقال كلينتون له في التسجيلات إنه كان من السهل الفوز بالرئاسة لو ركز في حملته على هامبشر وأركنسو، إذ كان يتمتع كلينتون بشعبية عالية في هاتين الولايتين. إلا أن آل غور رد عليه قائلا إن علاقته بمونيكا لوينسكي دمرت فرصته بالفوز بالرئاسة وشكلت حملا ثقيلا على حملته من بدايتها، وانفجر الاثنان

كلينتون تعارك كلامياً مع نواز شريف

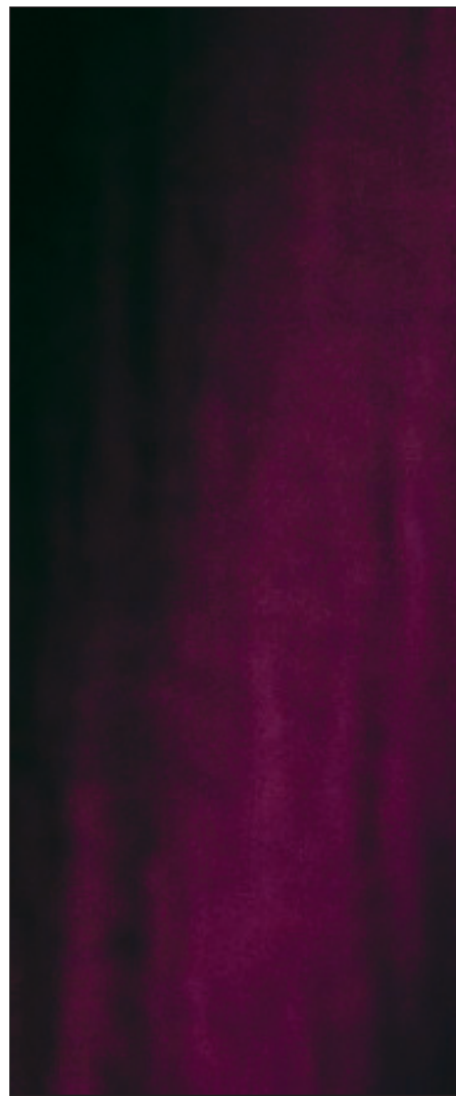

ذكر المؤلف أن كلينتون دخل في مواجهة حادة مع رئيس وزراء باكستان نواز شريف عقب دخول القوات الباكستانية قطاعاً في كشمير الهندية ١٩٩٩ وقال له إن سياسة الدفع نحو الهاوية قد تؤدي الى تبادل استخدام الأسلحة النووية بين الجارين المدججين بترسانة من أسلحة الدمار الشامل.
وذكر أيضاً أن شريف ألقى باللائمة على رئيس أركان الجيش (آنذاك) الجنرال برويز مشرف، وأشار الى أن شريف قال لكلينتون إن الاستسلام أسوأ من الحرب.
وحذّر الرئيس الأمريكي من أنه (أي شريف) ليس أمامه سوى خيارين "أن يأمر بهجوم نووي ليصبح بطلاً وطنياً، أو يطاح به كخائن على يد قائد الجيش"، وهو ما حدث لاحقاً كما هو معروف. وذكر المؤلف أن كلينتون وصف مواجهته مع شريف بأنها "الأشرس" في تاريخه السياسي.

تعديلات طلبها الرئيس السابق.
وإذا كان هذا الكتاب لا يكشف في واقع الأمر الكثير عما يمكن تسميته «أسرار الدولة»، فإنه بالمقابل زاخر بالحكايات التي تدل على الطريقة التي يتم على أساسها تسيير الأمور على رأس دولة كبرى مثل الولايات المتحدة، والكيفية التي يتعامل بها رؤساء الدول فيما بينهم
. ومن الحكايات على لسان كلنتون تلك التي تخص محادثة حادة «مكهربة» مع آل غور، بعد هزيمته مباشرة في انتخابات عام ٢٠٠٠.
ويعيب عليه كلنتون في ذلك الحديث أنه «وضعه جانباً» أثناء الحملة الانتخابية، في الوقت الذي كان يمكنه أن يعتمد عليه من أجل تعبئة الناخبين في بعض الولايات مثل اركانسا حيث كان يحظى بشعبية كبيرة. أي كلنتون. والذي ربما كان قد سمح للديمقراطيين بالاستمرار في البيت الأبيض، حيث إن جورج دبليو بوش قد فاز بأغلبية قليلة من الأصوات وبعد عملية إعادة حساب الأصوات.
لكن إجابة آل غور كانت في غاية الحدة، إذ قال إن هزيمته تعود «على العكس» إلى «ترّهات كلنتون» التي كانت وراء خسارته للانتخابات. ويشير المؤلف إلى أن المحادثة «انحدرت» بعد ذلك أكثر. ومن التصريحات في تسجيلات كلنتون، تلك التي أثار فيها بوضوح أن جورج دبليو بوش، الذي كان آنذاك حاكماً لولاية تكساس قوله:
«إن جورج دبليو بوش ليس مؤهلاً كي يصبح رئيساً للولايات المتحدة الأميركية. لكنه يمتلك حسا جيدا حيال الحملة الانتخابية». أما عن السناتور جون مكّين الذي كان يطمح هو الآخر في الفوز بترشيح الحزب الجمهوري له لخلافة كلنتون فنقرأ: «يمكنه أن يكون رئيسا جيدا، لكنه يفتقر تماما إلى المعرفة المطلوبة للقيام بالحملة الانتخابية».
ويشير المؤلف أن الرئيس كلنتون تحاشى كثيرا الحديث معه عن قضية مونيكا لوينسكي. لكنه اعترف له أنه «انهار» إثر تعرّضه لإمكانية «العزل» عن الرئاسة، حيث كان مجلس النواب قد وجّه له الاتهام بالكذب وهو «تحت القسم» مما كان يستدعي تنحيته. لكن مجلس الشيوخ قام بتبرئته.
تتم الإشارة هنا إلى أن الديمقراطيين خسروا في ذلك السياق الانتخابات التشريعية. بل لحقت بهم «هزيمة ساحقة»، وفقد بيل كلنتون والدته، وتتالت الفضائح يوماً بعد يوم.
ويحتوي هذا الكتاب الكثير من المعلومات التي يدلي بها الرئيس كلنتون عن أسباب فشله في إجراء إصلاح النظام الصحي، أي الملف الذي كانت زوجته هيلاري، وزيرة الخارجية الأميركية الآن، مكلّفة به. ومعلومات أيضا عن المعارك التي خاضها كلنتون ضد أعضاء الكونغرس من الجمهوريين حول الموازنة.
وكشف الكتاب ايضا كيف ان الرئيس الأسبق بيل كلينتون، أنه دخل في مواجهة صاخبة مع رئيس الوزراء الباكستاني الأسبق نواز شريف خلال التوترات الحدودية في شبه القارة جنوب آسيا، حيث تصاعد خطر لجوء أحد طرفي الصراع إلى استخدام السلاح النووي، كما صرح كلينتون أيضاً بوجه نائبه آل جور على خلفية فضيحة المتدربة في البيت الأبيض مونيكا لوينيسكي.
ورسم كتاب تايلور برانش مصارعة التاريخ مع الرئيس" المؤلف من ٧٠٧ صفحات صورة إنسانية للرئيس والسيدة الأولى هيلاري كلينتون، تنفي الكثير من "صور الشيطنة" التي دمغهما بها المشرعون اليمينيون في الكونجرس، وأجهزة التلفزة والصحافة الموالية للمحافظين.
ذكر المؤلف أن كلينتون دخل في مواجهة حادة مع رئيس وزراء باكستان نواز شريف عقب دخول القوات الباكستانية قطاعاً في كشمير الهندية ١٩٩٩ وقال له إن سياسة الدفع نحو الهاوية قد تؤدي الى تبادل استخدام الأسلحة النووية بين الجارين المدججين بترسانة من أسلحة الدمار الشامل.
وذكر أيضاً أن شريف ألقى باللائمة على رئيس أركان الجيش (آنذاك) الجنرال برويز مشرف، وأشار الى أن شريف قال لكلينتون إن الاستسلام أسوأ من الحرب.
وحذّر الرئيس الأمريكي من أنه (أي شريف) ليس أمامه سوى خيارين "أن يأمر بهجوم نووي ليصبح بطلاً وطنياً، أو يطاح به كخائن على يد قائد الجيش"، وهو ما حدث لاحقاً كما هو معروف. وذكر المؤلف أن كلينتون وصف مواجهته مع شريف بأنها "الأشرس" في تاريخه السياسي.
الى جانب ذلك، ذكر المؤلف أن نائب الرئيس آل جور الذي خاض السباق الرئاسي في نوفمبر تشرين الثاني ،٢٠٠٠ رد خسارته في بعض الولايات المهمة الى فضيحة مونيكا، فما كان من كلينتون إلا أن صرخ بوجهه: "بحق الله، لدى هيلاري من الأسباب لتسخط على كلينتون أكثر مما لدى آل جور".
الكتاب يقوم بتسجيلات على ٧٩ شريطاً لأحاديث بين كلينتون والمؤلف، كما أن المؤلف كان يسجل يومياً كل ما يذكره من أحداث وأحاديث دارت خلال اليوم، عقب انتهاء العمل، أو خلال قيادته السيارة الى بيته في بلتيمور. وكانت صداقة برانش وكلينتون قد بدأت خلال عملهما كمنسقين في تكساس لحملة (جورج ماكغيفرن) للرئاسة في ١٩٧٢. وبعد تولي كلينتون الرئاسة طلب من صديقه الذي نال شهرة واسعة باعتباره كاتب سيرة زعيم حركة الحقوق المدنية مارتن لوثر كينغ، أن يساعده في تسجيل انطباعاته، وأجريت التسجيلات كلها سراً، وعادة في وقت متأخر من المساء أو الليل.
ويقدّم المؤلف الرئيس الأميركي الأسبق في النهاية على أنه «رجل مبادئ»، إلى جانب أنه كان يجيد «الحسابات السياسية». ويؤكد في السياق نفسه أن من أكبر مزايا كلنتون «شجاعته» أمام الشدائد.
ولا شك في أن هذا الكتاب يشكل أيضاً وثيقة تاريخية مهمة وفريدة من نوعها من حيث إنه لا سابق لها. هذا فضلا عن أنها تخص أحد أكثر رؤساء الولايات المتحدة الأميركية شعبية، وأحد أكثرهم إثارة للجدل أيضا.

الكتاب: تسجيلات كلنتون
تأليف: تايلور برانش
الناشر: سيمون وشستر
نيويورك٢٠١٠

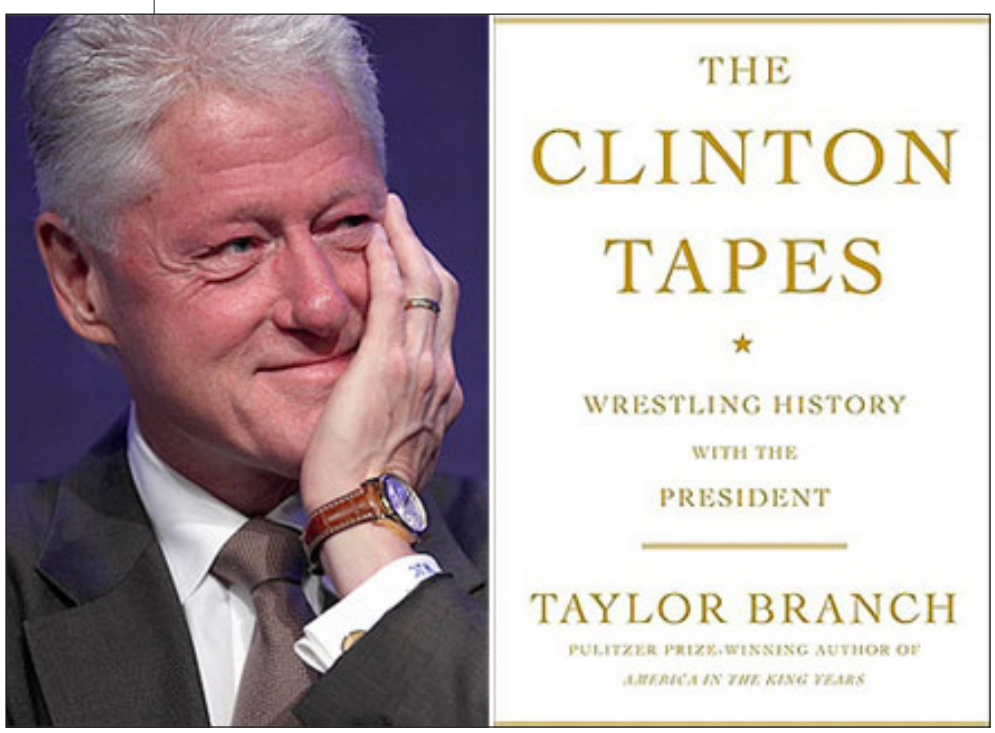

العدد (1826)السنة السابعة -الاحد (20)
حزيران 2010

عندما كان الشعراء الروس يهزّون الملاعب

ترجمة/ ابتسام عبد الله

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991 ، بدأ الشعر الروسي يقترب في مضمونه من الشعر الأميركي: كلاهما آسر وحزين.

ما هو آسر، يكمن في تميزه بالموهبة التي تختلف من شاعر الى اخر، بالنسبة للشعراء الشباب في روسيا.

وما هو حزين يخص القراءات القليلة له، عدم انتشاره وقلة اهميته في الوقت الحاضر، اذ ان مدى الانتشار الذي يحققه الشعر المعاصر في المجتمع الروسي فيكاد يكون "لاشيء" فقد اختفى الشعر هناك كما يختفي دخان من غابة.

وفي الاسبوع الماضي ، صدر في اميركا كتاب بعنوان، "عندما هزّ الشعراء الروس الملاعب"..بقلم دوايت غارنر ، يتحدث عن شعراء الحقبة التي انتهت في روسيا.

يسين

بوشكين

اخماتوفا

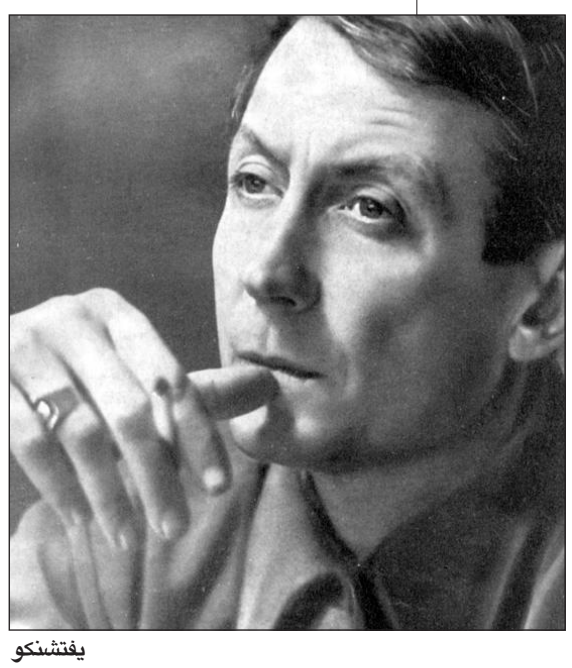

يفتشنكو

كان لوفاة الشاعر الروسي الكبير أندريه فوزنيسنسكي مؤخراً صدى في الاوساط الادبية، لقد اعتبر، الشاعر المحرض في الحقبة الستالينية، طوال الخمسينيات واوائل الستينيات من القرن الماضي، ورحيله مؤخراً دفع الكثيرين الى استعادة زمن كان النجاح فيه ممكناً وفي تناول اليد.. وجيل فوزنيسنسكي من الشعراء، ومن بينهم ييفجني ييفتوشينكو وبيللا اخمادولينا قرأوا قصائدهم في الملاعب الرياضية، لتستمع اليهم الجماهير المحتشدة، وتضج بالتصفيق لهم.

اجل ان اللحظة تقدم نفسها، والامر له صلة بالحرية الفنية التي أتاحتها حقبة خروشوف الاولى التي اهتممت وقدرت اهمية كل ما له علاقة بالفنون.. أو كما عبر عن ذلك فوزنيسنسكي وهو يلوي شفتيه استهزاء، لقد بصق الزمن علي، وانا اعيد البصقة عليه.

لقد كان شعراء تلك المرحلة ، شخصيات مؤيدة لمذهب الحرية، وهم في اغلب الاحيان يشبهون عددا من مغنين الروك، او كتاب اغانيهم في اختيار الكلمات وصياغتها ومنهم على سبيل المثال: بوب ديلان، جوني ميتشل وليوناركوهين ، كانوا كثيري الصخب وساخرين في بعض الاحيان.. يهتمون بالسياسة والجنس، ويتشاجرون فيما بينهم.. اما ييفتوشينكو فقد سطح بين الشعراء عندما تساءل: لماذا يقف ابناء الزنا من الجناح اليميني متراصفين كتفاً الى كتف، متضامنين مع بعضهم البعض، بينما يتشاجر الليبراليون فيما بينهم!

ان الاهتمام الذي قوبلت به وفاة فوزنيسنسكي، هو ذكرى او صدى لنشوة تلك الايام التي مضت، ولكن الى أي حد وصلت اهمية الشعر الروسي في القرون الثلاثة.

من الكسندر بوشكين الى آنا اخماتوفا من وعي البلاد نفسه، ان روسيا بلد شاسع ومحير.. وقد ساعد الشعر انذاك.. وتلك الكلمات الحادة الموجهة في توحيده ولم اطرافه.

ويعتبر بوشكين (١٧٩٩ -١٨٣٧).. المؤسس المتمرد للادب الروسي الحديث وشاعر البلاد الاول.

انه بالنسبة اليهم: شكسبير ، وكل الطرق الملوثة تعود اليه.. كان بوشكين يمتلك صوتاً مصقولاً..

ومع ذلك يجد فيه المرء بعض سمات العامية الروسية، وكان التعلق به والالتفاف حوله يتواصل بسبب ذلك ونصف ايليف باتومان في كتابها الجميل الاخير المأخوذ: مغامرات مع الكتب الروسية والناس الذين يقرأونها ..تصف كلية وجود بوشكين في الادب والثقافة الروسية.

ومن اجل شرح وجهة نظرها، تستشهد باتومان بمقطع من مسرحية، بوشكين وغوغول للكاتب الروسي دانييل خارمس، وفي مشهد منها ، يظل بوشكين وغوغول يتعثر احدهما بالاخر.

غوغول وهو يقوم هذه خديعة متواصلة (يسير ثانية ويتعثر ببوشكين ثم يسقط ارضا) وتقول المؤلفة ان هذا هو الواقع بوشكين في كل مكان).

وبوشكين ما يزال يدرس بشكل واسع في مدارس الاطفال كافة بروسيا، ومن مزايا شعره ، شكه واستنباهه بالقوة والفساد، الامر الذي يمنح شجاعة لكتاب جاؤا من بعده.

ومن افضل الامور المتعلقة بفوزنيسنسكي وجيله خلال اعوام الخمسينيات والستينيات، تبجيلهم للشعراء الذين جاءوا قبلهم ومعرفتهم العميقة بما تعرضوا اليه من قمع، او سجن او احكام اعدام بعد الثرة الروسية عام ١٩١٧.

ومن اولئك الشعراء الكبار: اخاتوفا وماريا تسفيتيفا اللتين طبعت اعمالهما بعد عقودة عدة. وقد هوجم شعر اخماتوفا من قبل السلطات الروسية لنزعتها البرجوازية واستغراقها في الله والحب.

وعاشت اخماتوفا لترى زوجها الاول، شاعراً ايضا، يطلق عليه النار من دون محاكمة بسبب تهمة مزيفة، كما امضى ابنها سنوات طوالا في معسكرات العمل.. وقصيدتها ترتيلة لراحة الموتى، التي كتبت في المرحلة الستالينية ، ولم تطبع باكملها في روسيا حتى عام ١٩٨٧، ومنها هذه الاسطر التي ترجمت الى الانكليزية.

من اجلك ،التمست سبعة عشر شهرا
ان تعود الى البيت
طرحت نفسي امام الجلاد
اواه يا بني.. كم كان فزعي
والان لا افهم الفوضى الابدية
من هو الوحش، ومن هو الرجل
وكم يطول الزمن حتى الاعدام

اما الشعراء الاخرون في تلك المرحلة فكانوا حتى اقل خطأ منها.

فقد اصيب سيرجي بينسبين بانهيار عصبي وشنق نفسه عام ١٩٢٥ وهو في سن الثلاثين وكتاب جيم هاريسون، رسائل الى يسينين الذي صدر عام ١٩٧٣، هو تحية تقدير كئيبة له.

باسترناك وفوزنيسنسكي

وقد تميز من بين الشعراء الروس فوزنيسنكي بعلاقاته مع عددا من كبار الشعراء الروس ومن بينهم بوريس باسترناك ، الذي شجعه على الكتابة عندما كان في الرابعة عشر من عمره.

لقد قرأ باسترناك شعر الشاب الصغير وكتب اليه: "ان دخولك عالم الادب سيكون سريعاً وعنيفاً، انا سعيد لأنني عشت لأراك".

والروس عادة، لايقعون في حب شعرائهم ، ان لم تعكس قصائدهم واقع السياسة في بلادهم.. وكما كشف فلاديميرناباكوف في كتابه.."محاضرات الادب الروسي" ، ان الادب لاينتهي الى قسم الافكار العامة بل الى قسم الكلمات الخاصة والصور والمعاني".

لقد فقد الشعر الروسي في ٢٠١٠، اغلب العناصر التي كانت تشحذه وقد تكون هذه الحالة الجديدة اسعد للقراء واقل سعادة للسفر، ومهما يكن فلن يذبل الشعر الروسي.. وهناك بالتأكيد اجيال موهوبة حقاً..

عن النيويورك تايمز

ما بعد الكتاب

محمد خضير

١-الكتاب نبؤة :

يتنبأ الكتاب بمستقبله في مرحلة ما بعد الكتاب مثلما تنبأ الخزانات الوطنية للكتب بمعابد الذاكرة النباتية الكونية (مكتبة الاسكندرية) وعلى افق هذا التنبوء ، تعرض معارض الكتب الدولية سلاسل الكتاب الاخيرة، ارتحال موضوعاته ولغاته، تجدد اشكال طباعته، عالمية قراءته، ويصور ملصق معرض فرانكفورت للكتاب ٢٠٠٤ تمدد عجينة الكتاب على قارات العالم، كاسحة اية نبأ عداها.

١- أشير هنا بصورة خاصة الى اربعة انواع من هذه السلاسل التنبؤية: الاولى الروايات الخارقة لمؤلفين امثال دان براون (تنبؤات الجماعات السرية) وكويلهو (التنبؤات الثيوصوفية) وكويتزي (تنبؤات الجماعات المعلونة) ونور الدين فرح (تنبؤات السلالات الجريحة)، والثانية سلسلة السير الذاتية لشوارسكوف وبيل كلنتون وبول بريمر (اعترافات القوة والسيطرة) وجين فوندا (اعترافات الجنس) وعبد الله العروي (خواطر العقل التاريخاني) وادوارد سعيد (سيرة الهوية المنقسمة) ، والثالثة سلسلة الشعر من ادونيس (تنبؤات الذات الشعرية العارفة) ومحمود درويش (تنبؤات الذات الغنائية المتمردة) وسعدي يوسف (تنبؤات الذات الغنائية الصلبة) ونختم هذه السلاسل بسلسلة التنؤات العولمية لعصر (الصدمة والعرب) في مؤلفات فوكوياما وهنتنغتون وطارق علي وجومسكي وبودريارد، واضدادها على الجانب المقابل من الفجوة الثقافية في مؤلفات المفكرين العرب المشارقة والمغاربة.

تحييي سلاسل الكتب التنبؤية وظائف الصحف الاولى، التبشيرية والتحذيرية ومخاوف القلة الخازنة للكتاب التي صنفته الى (الخطير) و(الممنوع) و(المثير) ومشاعر الفئة القارئة الباحثة عنه باصرار وليس في ما تحتويه الكتب، جميع الكتب، ما يؤرخ لغير صراع الكتاب ضد طبيعته التنبؤية التي سخرته لخدمة سلطة الخوف، او ضد نظامه الكرافيكي الذي قربه من مصير الحجر او الحرق، ولولا هذا التلازم الاصلي بين نظام الكتاب وطبيعته التنبؤية لزال سحر المكتوب الذي يحمله الكتاب في طياته الى ابد الابدين، وانتهى تاريخ الكتابة، اذ ان في اية نبؤة بنهاية التاريخ، بعد بلوغ تمامه، وانحلال السلطات التي تحكم الانسان، بعد استعباد عقله، واحلامه، احتمالاً وحيداً لا ينغلق: نظام الكتاب المفتوح على نص لاينتهي.

ابتكر نظام البريد القديم وسائل اشد خفاءً وتعرجاً لنقل رسالة خطيرة الى هدفها ، وعودة الى تماهيات هذا النظام، يخترع مؤلفو النصوص انظمة تراسلية خاصة لتفسير ثيمات الرسائل بنوعيها، المختومة والمفوضية فنظام ختم الرسالة، يفسر نظام فضها، بطرق شتى واحتمالات متمرحلة وكلا النظامين ينبئ بطريقة حملها او نقلها، ان كان نصاً كرافيكياً توزيعياً. أو إرسالاً رقمياً مرحلياً ولايجافي لاي نظام منهما فكرة الكتاب المتضمن وحدات اجناسية مترابطة او موزعة على فضاء طباعي (كرافيكي) موضعي (طوبولوجي) موضب في صفحات متتابعة، اذا ما تماهت رسائله التنبؤية بطرق انتقالها وتوزيعها وفضها.

وحين يتم تأليف كتاب تتألف وحداته (نصوصه) توزيعاً ترابطياً ، كما تتوزع الرسائل المحمولة على مراكز البريد، توزيعاً مرحلياً، يشكل الكتاب نظام فضائه الطباعي (الكرافيكي) ليقرأ بخطط بصرية وذهنية مفتوحة على احتمالات لا نهائية وحين يفكر الكتاب بنظام سردي توزيعي، فأن افكارا مثل: الخطط التحضيرية للنص، الحوادث المرتجلة، والسيرة الذاتية للمؤلف الاول، تبادل ادوار الشخصيات واعادة تسميتها، الازمنة والامكنة المؤثرات النصية (الرسوم والصور والاشكال) الفواصل والروابط، البداية والنهاية، العنوان وموقعه ، العتبات والدهاليز، تشير كلها الى خطط غير مكتملة، لأنها تنشد الاتصال بمؤلف ثان وثالث وأكثر يشاركون في تنظيمها في ثنايا النص، ان تخطيطا اوليا لكتابة نص سيكشف حقيقة العلاقة المتكافئة غير المتراتبة، في عملية التأليف المتعدد، ونوع العلاقة الاجناسية التي يقيمها المؤلف الاول مع متلقيه المحتملين في مراحل انتقال النص، وعلى اساس هذه العلاقة بين الفكرة المختومة وفضائها الطباعين يقيم الكتاب مواقع رسائله النصية، ويرسل احتمالات فضها.. يبتكر الكتاب صورته الكتابية، نظامه التنبؤي ان يجلس على ركبتي الجبل، او ينحدر مع النهر في منعرجاته.. أو ان يتحول الى عجينة تلحم حافات القارات في نبؤة مخيفة من سلاسل تنبؤاته.

٢-الكتاب عجينة:

ما صورة الكتاب الالكتروني الخارقة للطبيعة بمخيفه او ماحقة، اذا ما قورنت بصورة كتاب الطبيعة المقابلة لصورة الكتاب الورقي الحجمية، يخترع طاغور في قصيدة من ديوانه (الهاربة) كتابا بحجم الجبال، التي تنحدر منها اعاجيب الخلق الهندية، انحدار نهر الغانج:

"هملايا جالسة وحيدة كعالم كبير يحمل على ركبتيه كتابا قديما مفتوحا، فيه صفحات حجرية لاتعد.. ".

في مقابل كتاب هملايا، يصطنع إدغار ألن بو كتاب القصور القوطية المصفح بالحديد، كي يحجر مضامينه الحكائية المخيفة، ويطمر شعائر كتابته المسوسة كتاب طاغور الحجري عالم قديم غير مفضوض برغم انفتاح صفحاته ، اما كتاب بو الحديدي فيخلق معه نظاماً مغلقاً من الرموز المختومة ترهب من يجرؤ على فض غلافه الحديدي ، وتلحق اللعنة او الموت بخازنيه ، وسواء أومأ للكتاب الطبيعي بطريقة فضه ام أطبق على عالمه القديم، فأن ثيمة مديدة تفرش عجينته المستقبلية بنبوءة خارقة.

لابد من ثيمة خارقة من عجينة الطبيعة الاصلية، كي يقاوم الكتاب شرور العالم ولكي يكون الكتاب سلاحا فعالا بيد قرائه، لابد ان يتنبأ القارئ بقدرات مؤلفه الخفية، المستمدة من تلك العجينة اختار بورخس مجموعة حكايات من عجينة الطبيعة الخيالية، احداها من تأليف (جي ويللوج باي ميادي) ولعل هذا الاسم الطويل من مزاعم بورخس نفسه توضح قوة كتاب (التحولات المقدسة) الذي يملكه الكاتب (وودي شانج لنج) بمواجهة السحر القاتل الذي يملكه الساحر (تشانج تشي شن) وملخص الحكاية، ان الكاتب (وو) أهان الساحر (تشانج) فأضمر هذا له الانتقام، اذ يهاجمه، ثلاثة رجال شريرين على التوالي بالحراب والبلطات، في ليلة عاصفة قضاها الكاتب في قراءة كتاب (التحولات) على نور مصباح، يواجههم الكاتب منتفضاً ويضربهم بالكتاب فيصرعهم.. وعندما ينحني عليهم للتأكد من موتهم يكتشف انهم لايزيدون عن صور مقصوصة من الورق، فيحملهم ويحفظهم، بين صفحات الكتاب الذي يقرأه وعند منتصف الليل تطرق امرأة باب الكاتب مولوله، نادبه، وتتوسل اليه ان يفك حبس الرجال الثلاثة الذين حفظهم في كتابه. فقد كانوا زوجها وولديها، وان ارواحهم الكامنة في الصور المقصوصة، لن تعود الى اجسادهم الراقدة في الدار اذا ما طلع النهار، يرفض الكاتب اعادة ارواح الساحر وولديه، ثم يشفق على الزوجة الباكية فيعيد اليها صورة ولدها الاصغر، وكانت سوداء الوجه وفي نهار اليوم التالي ينتشر خبر موت الساحر وولده الاكبر في الليلة الفائتة.

في حكاية خيالية قصيرة اخرى، تتكون من سطرين اختارها بورخس من اعمال الحكيم الصيني الطاوي (شوانج تسو)، نقرأ: "حلم شوانج تسو بأنه فراشة، وحينما استيقظ لم يعد يعرف اذا ما كان تسو هو الذي حلم بأنه فراشة أم ان فراشة هي التي كانت تحلم بأنها تسو" ولو اننا ابحنا لأنفسنا نسق استبدال حلم بحلم ن وانتقلنا من كتاب (التحولات المقدسة) عند الكاتب (وو) الى كتاب نظير له عند الساحر (تشانج) يتكون كلاهما من صور الارواح المتبادلة بينهما، عندئذ لانعلم من الذي قتل الاخر بكتابه، لأن كتاب الكاتب يحبس روح الساحر واسرته، وكتاب الساحر بحتوي على روح الكاتب وسلالته واذا ما حملنا بحلم الطاوي (شوانج تسو) المتنقل بين الحكيم والفراشة، فسيجمع كل كتاب يحتوي على هذا النوع من الحكايات التنبؤية ارواح الكتب الاخر المؤلفة من عجينة الطبيعة.. وهذا هو حلم بورخس الاثير بأن تصبح الكتب احلاماً متبادلة بين الكتاب هم جزء من عجينتها..

ولكن ماذا يحدث لو تزايد عدد الكتبة في العالم واستهلكوا مادة احلامهم بشراهة، وتحولت البلدات الى مطابع ومصانع ورق وحبر، حتى امتلأت البحار بفائض كتبهم؟ في هذه الحال سنختتم نبؤات الكتاب بعجينة نهاية العالم، كما تخيلها خوليو كورتاثار في قصته القصيرة متصلة من عجينة الكتب الطافية على سطح المحيطات ويتحول الكتبة الى شعاع محكوم عليه بالافول.. في نهاية النبوءة.. تبدأ الالات في المساء بطباعة اعمال الكتبة التي انجزوها في الصباح تجاوبا مع المواهب الهائلة المنتجة للكتب، وعندما تفوق المكتبات عدد المنازل تقرر البلديات التضحية بالمساحات المخصصة لألعاب الاطفال، ثم تنازل عن المسارح والحضانات ومحلات الجزارة والمقاصف والمشافي، ويستخدم الناس الفقراء الكتب بدلا من الحجارة لبناء منازلهم التي تزحف من المدن الى المزارع في الارياف، ثم تصل المطبوعات الى شواطئ البحر، تقف الانسانية عاجزة امام تكدس الفائض المتعاظم على سواحل العالم قاطبة من انتاج الكتب، فيقترح رئيس الجمهورية على رؤساء الجمهوريات الاخرى القاء الفائض في البحر لتوفير مساحات خالية من اليابسة للكتب الجديدة، وهنا تحل النهاية المرتقبة، اذ تتكدس الكتب في الاعماق ، على هيئة عجينة ورقية لاصقة، ترتفع يومها عدة امتار، حتى تبلغ السطح، وتفيض المياه بعنف فتغمر اليابسة وتنتج توزيعها جديدا للقارات.. او تتبخر بسرعة او تمتزج المطبوعات فتعيق عجينها..حركة البواخر ثم تعلق بها اخيراً ووتوقف على مسافات متباعدة في البحر، يقرر الرؤساء والقباطنة استغلال البواخر المتوقفة وتحويلها الى انغام الاوركسترا حتى الفجر، محاطين بجبال الكتب المكدسة على سواحل البحار القديمة، وبمئات الكتبة الذين تملأهم البهجة لشرح هذه الظاهرة الكونية، يستمرون في الكتابة حتى بعد نفاد الحبر وتوقف المصانع عن انتاج الورق، ويتعاظم عددهم حتى بعد أفول شعاعهم المؤقت امام البحر الناضب ، فيما يستمر القباطنة ورؤساء الجمهوريات في احتفالاتهم الكبيرة وتبادل الرسائل عبر الجزر الورقية، حتى بعد نهاية العالم القديم.

أوراق
العدد (1826)السنة السابعة -الاحد (20)
حزيران 2010

كتب الرصيف تساعد القارئ بثمن رخيص

إذا كان ثمن الكتاب وغلاؤه حائلاً دون تلبية "النهم المعرفي" لدى الإنسان فلا شك أنه سيبحث عما يروي هذا النهم وبأقل التكاليف، وأمام الحاجات المادية الضاغطة التي انسحبت على حياة المواطن العربي بشكل عام، أصبح مألوفا أن يرتاد مكتبات الرصيف عله يجد "ضالته" بين أكوام الكتب القديمة والحديثة والمتنوعة المكدسة، مكتبات تجعل من الرصيف مكاناً لتواجدها، وكأنها بذلك تحقق رؤية الكاتب الأرجنتيني الشهير"بورخيس" عندما رأى في إحدى قصصه وبدافع "التخييل الأدبي" العالم كمكتبة رففها وممراتها الدروب والشوارع والأرصفة، أما ما يقبع على هذه الأرفف فهو ذاكرة الوجود المحتشدة فوق بعضها كطبقات وكأنها الكتب في هذه المكتبة .

تحقيق / مريم جعفر

ظاهرة منتشرة وعناوين متنوعة

إن ظاهرة مكتبات الرصيف تنداح على مساحة بلدان العالم، بدءاً من بريطانيا وفرنسا وألمانيا.....، ومروراً بالدول العربية مثل سوق "سور الأزبكية" الذي تحول إلى معرض دائم للكتاب في القاهرة وكذلك سيارات "الفان" التي تقف محاذية لمنطقة الروشة أو قريباً من حي الحمراء في العاصمة اللبنانية بيروت، تلك السيارات التي تتراكم بداخلها الكتب المتنوعة، وانتهاءًببغداد التي تنتشرفيها مكتبات الرصيف كالأوشام الجميلة في جسد امرأة ريفية بريئة، ففي شارع الكتنبي والكرادة وباب المعظم وشارع فلسطين نجد كتب ، وكذلك قرب الجامعات

و تضم مكتبات الرصيف الكتب المتنوعة من "أدبية وشعر وروايات ودراسات نقدية وثقافية وسياسية وتاريخية وتراثية ودينية وطبية، وأيضاً تجد بينها الكتب الجامعية والمدرسية والروايات الأجنبية بمختلف لغاتها، هذا إضافة للمجلات والدوريات المتنوعة سواء منها الحديث أو القديم أو التي انقطعت عن الإصدار مثل"الرسالة والكاتب وافاق عربية أو التي مازالت تصدر بدءا من العدد التجريبي (صفر) مثل "مجلة العربي ومجلة الاقلام...." حتى كتب التسلية والشعوذات وأحياناً "الخلاعية" تجد لها مكانا بين هذه الكتب.

بائعون ومقتنون

يكاد لا يفاجئنا أن نجد أحد باعة الكتب وأصحاب البسطات "مثقفاً ثقافة نوعية"، إذ دفعت الحاجة الكثير من الأدباء إلى امتهانها بدءاً من المسرحي الفرنسي "جان جنييه" وليس انتهاء بالصحفي العراقي سعدون هليل الذي يقول في كتب مكتبته التي شرع ببيعها في المتنبي .أصحاب الفضل في بقائي حياً على قيد الطعام".

إنهم أصحاب "بسطات" مثقفون دفعتهم الحاجة وفشل مشاريعهم الحياتية ومحاولات انعتاقهم من سحر الكتاب والقراءة إلى افتراش الرصيف بالكتب التي وجدوا فيها غذاءً للروح و "للمعدة" أيضاً .

ولكن يبقى أمثال هؤلاء قلة نادرة مثل حبيب الملاك صاحب والذي يمتلك أربع مخطوطات لكتب من تأليفه صالحة للنشر غير الكتب التي نشرها اومازن لطيف الذي نشر بعض الكتب ، فأغلب البائعين تجدهم موظفين أحيلوا للتقاعد أو أحدهم دفعته "المصادفة" إلى امتهان هذه مثل أبو ابو اياد الذي يحدثنا عن تجربته قائلاً: "كنت وأنا شاب اهوى قراءة المجلات وفي إحدى المرات اخذ مني احد الاصدقاء مجلة قال انها نادرة وتباع بثمن ثم أعطاني المبلغ الذي قال انه باع به المجلة ، وبذلك وجدت في الكتاب والمجلات القديمة مصدر للرزق ولقمة العيش ومع تشجيع البعض اخترت هذه المهنة". هذا عن حال البائعين.

ولكن ماهي وجهة نظر اللذين يرتادون هذه المكتبات ومن هم؟ من الواضح أن أغلبهم من طلاب الجامعات والمدارس الذين يبحثون عن الكتاب الرخيص، وهذا ما يفسر انتشار "بسطات الكتب" بالقرب من الجامعات وكذلك تجد الباحث أو المطالب بمشروع تخرج للجامعة مثل أحد الزبائن الذي صادفناه واقفاً أمام إحدى هذه "البسطات" فحدثنا قائلاً: "نظراً لغلاء الكتب المرجعية في المكتبات العامة والخاصة لذلك تجدني أقبل على بسطات الكتب التي أجد فيها طلبي وبسعر يتناسب مع إمكانياتي المادية المحدودة جداً" .

وتجد كذلك الكثير ممن يمرون مروراً استعراضياً عابراً علهم يجدون كتاباً مفيداً فغالبية "البسطات" تأخذ مكاناً استراتيجياً يكون معرضاً لحركة المارة، وخاصة في مركز المدينة من كل محافظة في العراق ، هناك أيضاً من يأتي مبتغياً الطبعات القديمة من بعض الكتب التي أصبحت نادرة، وتجد هناك كاتباً قد نفذت نسخ إحدى كتبه عله يجد نسخة من كتابه الذي نفذ أمام سيل الاهداءات وطلبات الأصدقاء والقراء، فكثير من كتب "البسطات" تجدها مذيلة بإهداء من المؤلف إلى أحدالأصدقاء والمعارف مثل كتاب وجدناه في إحدى "البسطات" مهدى من المفكر الجواهري وبخط يده ولاندري كيف وصل إلى هذه "البسطة"، وثمة أصحاب دور نشر رأيناهم في بحثنا الطويل والذي امتد لأيام يأتون قاصدين بسطيات شارع المتنبي عساهم يجدون نسخة من كتاب قديم نفذت طبعاته ومازال مطلوب من القراء ليعيدوا طباعته ونشره في

من أين يأتون بالكتب !

ثمة سؤال يطرح نفسه بحرارة وهو من أين يحصل أصحاب "مكتبات الرصيف سواء في شارع المتنبي او الشوارع الاخرى على كتبهم؟ حملت هذا السؤال إليهم وكان أول من طرحت عليه هذا السؤال "أبو قتيبة " فأجاب "إن أغلب الكتب القيمة تأتينا من مكتبات أحد المثقفين الذي يفترسه فم الموت فيترك وراءه مكتبة ضخمة دأب طوال عمره على رفدها بالقيم والمفيد، وأمام حاجة ورثته للمال أو رغبة في تجديد المكان الذي تحتله المكتبة يأتون إلينا طالبين بيعها، وأستطيع أن أقول لكم وبكل صراحة بأن أغلبهم لا يقدرون قيمتها وبذلك نشتريها بعد لأي وجهد بسعر زهيد يفسح حيزاً مقنعاً للربح أمامنا".

كثير من الكتب أيضاً وخاصة المدرسية والجامعية منها وبعض المجلات القديمة يشتريها البائعون من الطلاب الشريحة الأفقر التي يجعلها هاجس القراءة والمعرفة تنوس مابين البيع والشراء كما رأينا سابقاً.

ولا يخجل "أبو العز" من إخبارنا عن أحد المصادر الهامة لكتب "البسطات" بقوله متهكماً "إن أغلب أصحاب البسطات يحصلون على كتبهم ومجلاتهم.... ".

والكثير من أصحاب "البسطات" تلقاهم يستغلون عروض من أصحاب دور النشر عن كتاب متكدس في مستودعاتهم بكميات كبيرة فيشترونه بنصف ثمنه أو أقل، إذ كثيراً ما تجد كتاب بكميات كبيرة متكدساً في إحدى "البسطات" وهذه الظاهرة لا تعدو كونها نتيجة "لشهوة المطبوع" ، فماالذي يدفع مؤلفاً لوضع كتاب يعلم أنه سيتكدس في مستودعات دار النشر إلا "شهوة المطبوع" هذه التي لا تضيف بقدر ما تعرقل .

الظاهرة بين التنظيم والفوضى

قد يختلف الكثيرون في النظر إلى هذه الظاهرة .ظاهرة مكتبات الرصيف .فمنهم من يراها لا تتناسب وقيمة الكتاب الحضارية بأن يلقى هكذا مثل الخردة أو الأدوات المستعملة ققطع غيار السيارات، على الأرصفة أو أنها تسيء لفضاء المدينة وتناسقه الجمالي باجتياحها لرصيف المدن، أو من يجد في هذه الظاهرة دالة من دلالات الرقي الحضاري والمعرفي والثقافي و"سوسة" القراءة والبحث والكشف والتقصي.. لكننا نجد فيها صورة من صور حياتنا الإنسانية المليئة بالأمور المتناقضة والغريبة والمتفردة والمدهشة،

التوسير :المستقبل يدوم طويلا

ترجمة: امير دوشي

المستقبل يدوم طويلاً، المذكرات التي كتبها ألتوسير بعد أن قتل زوجته هيلين ،وحكم عليه بالاختلال العقلي لمواجهة الحكم القضائي. النص أحسن اختياره، وقد كان ممكن أن يوفر فرصة لرودنيسكو لربط الثيمات الكبيرة للفصول السابقة. لكنها بدلاً من ذلك، حولته إلى دفاع عن ألتوسير ومفتاح للدلالة الفلسفية والسياسية المفترضة للجريمة.

الدافع لكتابة للمذكرات كان مقالة في جريدة اللوموند عن أسسي ساكاوا، المواطن الياباني الذي قتل وأكل امرأة هولندية شابة ،حيث كان يعيش في باريس. ومثل ألتوسير، حكم ساكاوا كمختل عقلياً – حتى عاد إلى اليابان، حيث أطلق سراحه ومضى ليتمتع بمهمته كممثل للأفلام الإباحية ومؤلف كثير الرواج. ذكرت مقالة اللوموند أشارة عابرة عن ألتوسير ،مؤداها أن كل من ألتوسير وساكاوا قد حصلا على اهتمام أعلامي أكثر من ضحيتهما . وتبدو تلك الملا حظة مسوغة أو بديهية، لكنها ملأت رودنيسكو بالخنق. فتنقل عن ألتوسير تألمه للغاية من هذه المقارنة مع "آكل لحم البشر الياباني" الذي كان مصيره الشخصي "مختلف جداً عن مصيره " ساكاوا كان انتهازيا ، أستغل قصور النظام الجنائي الياباني ،بينما كان ألتوسير ضحية تطبيع الصحة العقلية، "سرق فعلته وحرم من المحاكمة ،"

وفي سياق صداقتها الطويلة مع ألتوسير فأن دفاع ، رودنيسكو الحار مفهوم بل حتى مواسي .(من الواضح ،كان ألتوسير مولعاً جداً بشقة رودنيسكو ، بل أصبح مشغول بفكرة شرائها إلى" الدرجة التي أستمال نفسه وأقنع هيلين بأني قد عرضتها للبيع ") لكن للشخص الذي لم يعرف ألتوسير شخصياً أبداً ،فأن معاناته من المقارنة مع آكل لحوم البشر الياباني تبدو أقل أقناعاً من معاناة هيلين كونها منتهكه عاطفياً ،وفي النهاية تخنق من قبل أشهر فيلسوف في فرنسا ما بعد الحرب .

كانت هلين مهاجرة روسية، ومن مقاتلي المقاومة الفرنسية (على العكس من ألتوسير الذي أمضى سنوات الحرب في معسكر الأسر) ،وتكبر زوجها بثمان سنين،ولم تكن جميلة. وفي الوقت الذي تزوجت، فأن كل أصدقائها المقربين كانوا قد قتلوا من قبل النازيين .وقد توفي أبواها بالسرطان الطويل والبطيء قبل أن تبلغ الرابعة عشر : طبيب العائلة، صديقها الوحيد في ذلك الوقت ،خدعها عبر انتهاكها جنسياً وفي النهاية أقنعها بفكرة القتل الرحيم بحقن أبويها المورفين .وكذلك لم تكن الحياة مع ألتوسير يسيرة. ففي أوقات هذيانه، كان مكرها ،يغوي الفتيات والنساء الرائعات الجمال ويجلبهن إلى البيت لـ "يعرض" زوجته . حصلت الجريمة الفعلية عندما كان يدلك مقدمة رقبتها. ضغط الفيلسوف الكبير أبهامه" في التجويف عند مقدمة عظم القص ومن ثم واصل الضغط، وببطيء حرك أبهامية أعلى نحو الأذنين، عاصراً بشدة حتى شعر بألم في ساعديه. شعر بهذا الألم قبل أن يبصر عيون زوجته الجاحظة ولسانها المندلق"

في (المستقبل يدوم طويلاً) يمر ألتوسير بسرعة في طفولة هلين الممسوخة، لكنه يعود مره بعد أخرى إلى مشهد "اغتصابه" الرمزي من قبل أمه الذي وقع بعد أن بدأ احتلامه مع أشارة أمه إلى شرا شفه معلنة" أنت الآن رجل ، يا ولدي " .تتناوب هذه الفقرات مع اعترافات وتأنيب ذاتي وتحليل فرويدي مع جمل مثل" أعلم أنك تنتظرني لنتحدث عن الفلسفة والسياسة وموقعي في الحزب وكتب .مكوناً انطباع عن مدح ذات بارودي" (بارودية – صورة ممسوخة)

يمكن للمرء أن يغفر لألتوسير كتابة كتاب غير متوازن، فقد كان غير متوازن بعمق عندما كتبه ، لكن رودنيسكو التي ترفض معاملة الناس مثل الأشياء والكتب كأعراض، مرغمه على قرأه مذكراته كتأكيد بطولي على الاستقلالية البشرية. تفسر أن ألتوسير يستجيب إلى ما هو حتمي لتحويل خنق هيلين إلى "عمل": خلاف ذلك على الدوام،سيعاد أنتاج وجرد وأشاعه وتزوير وتأويل الخنق من قبل عدد لا يحصى من الشهود وغير الشهود، الذين سيتكلمون بوقاحة بدلاً من "مؤلف الجريمة" الحقيقي. هنا تستعرض رودنيسكو ضمنياً المبدأ التأليفي الفوكوي . "الذي يعيق التداول الحر والإرادة الحرة والتأليف الحر. التفكيك وإعادة أنشاء الروايه" . تصف مقتل هيلين (كعمل) قد يمك ألتوسير الكلمة النهائية بشأنه، ككاتبة لها الكلمة الفصل بشأن محتويات كتابها .المشكلة أن الوظيفة التأليفية لم تكن تعني أن يملك نيتشه ألكلمة الأخيرة بشأن ما قاله زرادشت وكذلك تولستوي بشأن الكيفية التي مات بها أيفان ألتش، لكن ألتوسير لايمكن أن يكون المؤلف الأخير لجريمته –لاشيء ألا لأن، كما صاغت ذلك أرنت" القصص الحقيقية فيها فرق واضح عن القصص التي نبتدعها والتي ليس لها مؤلف" وهذه نقطة رئيسيه في التاريخ الماركسي : كل فعل بشري دائماً ما يستوعب في زمنه "في شبكه موجودة سلفاً من العلاقات البشرية، مع أراداتها واهتماماتها التي لا تعد والمتناقضة" رغم أن كل فرد قد يكون، كما يقول سارتر صنع ذاته، لكن ما من أحد هو صانع النتاج التاريخي .

مع ذلك، بافتراضها مقتل هلين كـ (عمل) ،فأن رودنيسكو تشرع بالتوفيق بينه وبين بقية نتاج ألتوسير: وهو كتب الفلسفية الماركسية .هذه المصالحة تطبيق أخر لوظيفة المؤلف، التي وفقاً لفوكو ،تعمل لحل كل التناقضات داخل كتابات مؤلف واحد فيما يتعلق "بالتطور أو النضوج أو التأثير" وفقاً ل "فكر أو رغبة المؤلف الواعية أو غير الواعية "أنها قطعه بارعة من النظرية الأدبية– لكن هل يمكن القول أن الهوية البشرية، تتألف من جميع الأفعال البشرية، وبنفس المعنى الذي تكون فيه هوية المؤلف هي مجموع اعماله ؟ هل يمكن لعمل الكاتب المسطور ـــ هل يمكن لنتاج الأدبي– بكل محدوديته وثباته . أن يستخدم لإضفاء التناسق على التناقضات في حياته ؟ وعلى هذه ألمقدمه المنطقية، تشرع رودنيسكو بعقلنة سيئات ألتوسير الزوجية عبر إخضاعها إلى عنوان "لويس ألتوسير "الذي يدمج مجموعة من النصوص السياسية . الفلسفية .مثلاً ،تشير إلى الفجور– خصوصا ،علاقته الطويلة الأمد مع مترجمته الايطالية المثيرة جنسياً .قد كانت المنهجية ،" تلك التي تعلمها ألتوسير لنزع التراث الستاليني من الشوعية ، وبالتالي لقراءة ماركس بطريقه أخرى " .وهكذا أننا مدينون إلى الجميلة فرانكا ،المترجمة، في الحصول على المصطلح الألتوسيري (التحديد التظافري) ((مفهوم مركزي في منهجيه ألتوسير لقرأه ماركس وفيه يرى ألتوسير أن التناقضات لا تكون ذات سيرورة بسيطة وإنما هي عبارة عن سيرورة وعدة سيرورات متشابكة (متضافرة) ناتجة عن تفاوت المجالات الفاعلة في المجتمع)).

يبدو أن عقلنة أواخر الليل الثملة للأصدقاء ألتوسير قد تأتي بما يجعله أفضل. لم أعد مقتنعاً بدعوى رودنيسكو القائلة بأن زواج ألتوسير"صنع من الفوضى نفس ما دفعه إلى الموت ، نفس الدوافع ، نفس النشوة الروحية نفس الاندماج ذلك الذي وحد ألتوسير في ذلك الوقت مع الحزب الشوعي الملجأ وخطاب التحليل النفساني" أو بتشخيص دريدا لألتوسير كـ "سجين لجرائم اقترفت باسم الحزب الشيوعي" : "القتل المفاهيمي .اغتيال امرأة من المقاومة مناضلة الفكر الشيوعي" بالنسبة لقارئ علم الوقاية الصحية الأمريكي ،هناك شيء مستغرب في هذا الوصف لجريمة عائليه كتعبير عن خيبة الأمل في الحزبي الشيوعي. أو كتجريد على مستوى القتل ألمفاهيمي . (ألتوسير ضد النزعة الإنسانية النظرية وكل أنشاء يؤدي فيه مفهوم الإنسان وضيفة في التاريخ . أي أن ألتوسير تماها مع أنتاجه النظري وهذه أحدى النظريات القتل المفاهيمي ، لتعبير عن حادثة القتل)

الفصل عن ألتوسير هو بمعظمه ككتالوغ لمثل هذه الدعاوي للأصدقاء ألتوسير وأعدائه، حيث تدافع رودنيسكو عن الأصدقاء وتذم الأعداء. هؤلاء الأعداء وجهوا نفس الهجمات على الماركسية الألتوسيريه ومثلها الفرو يديه "مطلقتين عليها الفلسفة الجنائية" مجسداً في ولع الزوج بالزوجة والخضوع لها، الولع الذي كان نفسه "الجزء المرئي فقط من جريمة أكبر ربما ... ما اقترفت لعقود من قبل الشيوعي في كل بلد" الذين عبدوا الطريق لـ" جرائم النازية " . قارن(دانيال سويني) زوجة التوسير مع روسيا "قبل انهيار الاتحاد السوفيتي ... لوى هذا الفيلسوف عنق كل الاتحاد السوفيتي وما حدث فيه مع زوجته" تناولت جين اللوج، مناهضه للألتوسيريه ، حقيقة أن ألتوسير أعتاد الإشارة إلى هيلين كالجهاز الأيديولوجي للنخبة (AlE) وهذه (AlE) كانت عبارة التعجب التي لم تتفوه بها هيلين عندما كانت تخنق ،وتذهب إلى أن قتل ألتوسير لهيلين كفعل من أفعال تدمير الذات المتعمد. رغم أن رودنيسكو تتهم آللوج وسويني بـ "السماجة الكبيرة" أنهما لم يقولا فعلياً شيء أكثر سماجة أو أقل معقولة مما فعله دريدا أو رودنيسكو نفسهما، فوقفا لمناهضي الألتوسيريه فأن ألتوسير يساوي بين هيلين والأستالينيه، كلا الجانبين عملا نفس الأمر، أنها والى حد بعيد وثبة غير معقولة وسمجة بين الأستالينيه وهيلين تأثرت، دون شك ،بخلفيتها الماركسية كيهودية روسية.

وزيادة على ذلك ،فأن رودنيسكو تقتبس بعض الآراء الأقل تسيساً المنحازة للألتوسيريه، لكن هناك أن كان هناك شيء فلا يزال الأكثر غرابه: تستشهد (جين كوتن) بمراودة ألتوسير المبكرة للترابينيزم Trappism (نظام من الرهبنة معروف بالنزوع إلى الصمت والتقشف) محلله طبعه كـ "راهب صوفي " وتتساءل هل هناك مسافة واسعة بين القديس والمجرم ؟ يصف (ريجيس دوبريه) الجريمة كـ "انتحار إيثاري " : "أثبات حسن للحب ..." إذ يستطيع المرء إنقاذ جلده بينما يضحي بنفسه للأخر ،ليأخذ على عاتقه فقط كل" آلم العيش " ،المفارقة، أنها ذات المناقشة التي تغاضت عنها رودنيسكو عندما أتت على من أسسي ساكاوا : تلك المرأة الشابة لم تعاني ،عندما قتلها وأكل لحمها :البشري كان فعل محبه في الحقيقة . ما لذي لم تعانيه الفتاة بولغ في أظهار جوانبه الحسنه بمثل هذا" الإثبات الحسن" للمشاعر الرقيقة ؟.

يكون مدخل تاريخ الحياة الماركسي– الفرويدي أكثر أقناعاً عندما تأخذ العلاقات العائلية والبيتية كمؤسس أكثر منها مماثل للظاهرة السياسية الفعلية. في واحدة من أكثر الفقرات أمتاعا من مذكراته "المستقبل يدوم طويلاً" يشير ألتوسير الى أن المرة الأولى التي مارس فيها حرية الشباب كانت خلال السنوات الخمس التي أمضاها في معسكر الأسر في ألمانيا، يكتب ألتوسير "اكتشفت خلال أسري كم أستطيع العيش كثيرا مع أناس غير أمي وأبي .. كنت متحرراً من أكثر أجهزة الدولة ألإيديولوجيه فيها قبحاً و فضاعة ورعباً ،بالتحديد العائلة" . في معسكر الأسر الألماني نال ألتوسير أول حديث متحرراً من" الجمع الشنيع للخوف والتنشئة والاحترام والخطيئة" تلك التي أودعتها فيه العائلة – وأودعت من قبل كل عائله وكل فرد آخر عرفه في تلك اللحظة .الأبوان نفساهما قد كانا على حد سواء تعساء في سجنهما الأيديولوجي سجن، "الاحترام المطلق للسلطة المطلقة وفق كل شيء للدولة" دلالة ذلك ليس الحكومة، لكن القيم البرجوازية التي ترفعها. وصف العائلة الصغرى كجهاز الدولة الأيديولوجي مفهوم كثيراً لدي أكثر من وصف زوجة ألتوسير اليهودية الروسية الماركسية كمثال مجسم للأستالينية .

لويس التوسير

قراءة في كتاب(الفلسفة في ازمنة مضطربة)) تاليف الزابيث رودينسكو-

London Review of Books.

December ٢٠٠٨

أوراق
العدد (1826)السنة السابعة -الاحد (20)
حزيران 2010

خير جليس...

تتناول هذه الصفحات أحدث الإصدارات العربية والأجنبية يقدمها مازن لطيف.

نساء عاشقات.. قصة العشق.. والرغبة.. والانتقام ..

يعد د .ه. لورنس من العلامات الفارقة في عالم الرواية الإنجليزية خلال الفترة بين ١٨٨٥ – ١٩٣٠ وهو ما يعرف بعصر الملكة فيكتوريا. اشتهر بتصوير الحالة اللا إنسانية التي أفرزتها الثورة الصناعية والحداثة الأوربية وانعكاساتهما في السلوك الإنساني الذي تأثر سلباً بإفرازاتهما. فقد أصبحت الغرائز المتطرفة والاضطراب النفسي هي السمات الملازمة لإنسان القرن العشرين.

ويعتبر لورنس رائداً من رواد المدرسة الروائية المحدثة كما إنه يُصنف ضمن المدرسة الخيالية. تسببت له آرائه الجريئة في كثير من المتاعب مما جعله عرضةً للنقد اللاذع خصوصاً من قبل الكنيسة الكاثوليكية والرأي العام المحافظ وكذلك من قبل الحركات النسوية التي كانت ترى في كتاباته امتهانا لقدر المرأة وانحطاطها إلى درك الجنس الرخيص والمبتذل مما اضطره للهجرة والعيش بعيداً عن وطنه متجولاً حول العالم حتى وفاته.

"نساء عاشقات هذا العمل الأدبي الذي حاز على كثير من الإهتمام بين دارسي الأدب الإنجليزي.. ،وحتى لدى لورنس نفسه الذي كان يعتبرها أهم أعماله على الإطلاق. تروي الرواية قصة الشقيقتين "أرزولا التي تعمل مدرسة و "غودرن الفنانة التشكيلية. تنشأ علاقة صداقة بينهما وبين شابين هما "بيركن" و "جيرالد اللذان يقطنان قريباً منهما. تتطور هذه العلاقة بسرعة فائقة فتتحول إلى علاقات غرامية.

في خضم الأحداث نكتشف الصراع الداخلي داخل كل شخصية من هذه الشخصيات على حدة.. وبين الشخصيات فيما بينها. فمن ناحية نجد أن "غودرن" ليس راضية تمام الرضا في علاقتها مع "جيرالد".. فهو لا يشبع رغباتها .. ولا يبادلها الحب الجارف الذي تكنه له.. هذا الأمر يكرس النزاع الداخلي في نفسية "غودرن".. ويقودها للتفكير في تفاصيل علاقة شقيقتها الحميمة مع عشيقها.. ومن ثم يقودها لخيانة "جيرالد".. وتكون الصدمة بالنسبة لها حينما تكتشف أن لدى عشيقها ميولاً جنسية شاذة نحو صديقه..الأمر الذي ينعكس سلباً على علاقتهما.

أما "جيرالد" فتسيطر عليه روح الشك في مدى حب "غودرن" له.. يعتقد أنها على علاقة مع أحد أصدقائه وهو الشيء الذي يقوده مرات عديدة للتفكير في قتلها.. ولكنه يظل متردداً إلى أن ينتحر في آخر القصة بعد أن يهوي من أعلى جبال الألب أثناء رحلة كانوا يقومون بها هناك..

"أرزولا" من ناحية أخرى تبدو سعيدة بعلاقتها مع "بيركن" وكذلك هو.. لذلك يقرران الزواج واكمال مسيرة الحياة معاً.. هذا على الرغم من أن "ارزولا" لا تخفي إمتعاضها من بعض تصرفات "بيركن" الذي لا يتمتع بقوة الشخصية في كثير من الأحيان.. إلا أنها تفضله على كثير من الرجال.

على ذلك النحو تستمر أحداث الرواية التي لاقت كثيرا من المعارضة وسط المجتمع الإنجليزي المحافظ لما تحتويه من عبارات ومشاهد جنسية لا تتلاءم وقيم ذلك المجتمع خلال تلك الفترة. كما أن للحركات النسوية دور بارز في معارضة الرواية لأنها بحسب تلك الحركات.. تقدم المرأة كنموذج مبتذل للجنس والغريزة الحيوانية..

تتسارع أحداث الرواية لتجسد العشق المدمر والعاطفة الإنسانية في وجهها المظلم.. وما تجدر الإشارة إليه هو أن الرواية بكاملها تصور أصداء الحرب العالمية الأولى على نفسية المؤلف.. فهناك كثير من التراكمات السلبية التي جعلت الرواية تأخذ هذا المنحى المتطرف.. وليس بغريب أن ندرك رفض جميع دور النشر في إنجلترا نشر الرواية في العام ١٩٢٠ ليتم نشرها بعد خمس سنوات من كتابتها بشكل شخصي في أمريكا.

تظهر براعة من خلال الحوار الذي يدور بين الشخصيات.. فالحوار ذو مغزى ومعانٍ بعيدة أرادها أن تحمل رسالته وقناعاته الفكرية فيما يخص علاقة الرجل بالمرأة.. المرأة بالمرأة .. والرجل بالرجل. فهاهو "بيركن" يوجه نقداً لاذعاً لعشيقته الأولى سائقاً أسبابه لنهاية علاقته بها ليرتبط بعد ذلك بـ "أرزولا". فهو يراها أنها تفتقر للعفوية والعاطفة الغريزية التي يجب أن تتحلى بها المرأة .. ويحمل عليها العقلانية التي تتعامل بها مع كثير من الأمور.. بالطبع فإن العبارات تخفي أبعاداً شهوانية هي جل ما يبحث عنه "بيركن".

نساء عاشقات - د. هـ لورنس
الناشر / اصدارات المدى

الرائحة ودورها التاريخي....

صدر عن مشروع كلمة للترجمة بهيئة أبوظبي للثقافة والتراث كتاب جديد باللغة العربية بعنوان "الرائحة: أبجدية الإغواء الغامضة" من تأليف بيت فرون، وترجمة الدكتور صديق جوهر.

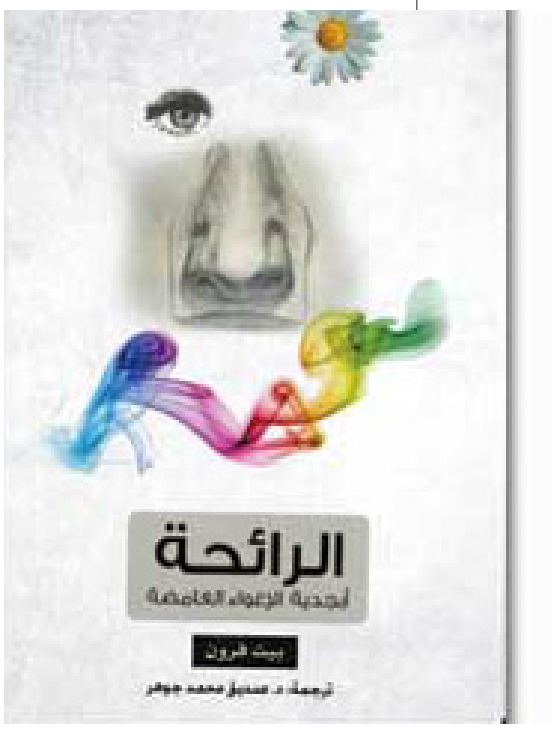

يتناول الكتاب حاسة الشم من مختلف الجوانب، كما يستطلع أثر الرائحة على السلوك البشرى والعلاقات الإنسانية. كما يقدم الكتاب أطروحات علمية عديدة وإشكاليات نفسية واجتماعية ذات صلة بعالم الرائحة، إذ تؤثر الروائح بشكل ملموس في المشاعر والعواطف الإنسانية ولها تداعيات دراماتيكية على السلوك النفسى والجنسي والانفعالي، لأن حاسة الشم مرتبطة بحركة الهرمونات وبالدوائر العصبية فى مخ الإنسان.

وهذه الدراسة الموسوعية جديرة بالقراءة لأنها تتعمق فى التفاصيل والنظريات التى تشكل أطروحتي الشم والرائحة ليس فقط عند البشر بل فى عالمي الحيوان والنبات، فأشجار الصفصاف التى تتعرض لهجوم الآفات تُطلق رائحة تحذيرية للأشجار المجاورة التى تفرز- بشكل استباقي- عصارة تُسمم الحشرات المعتدية. كما أن النباتات التى تهاجمها اليساريع تطلق روائح جاذبة للزنابير التى تتولى بدورها مهمة إبادة الغزاة عن طريق التبويض على أجسادهم.

والكتاب من تأليف ثلاثة من أفضل أساتذة الجامعات الهولندية والأوروبية فى مجال تخصصهم. ويعد المؤلف الرئيسى للكتاب - بيت فيرون ١٩٣٩- ١٩٩٨ من كبار الأساتذة المتخصصين فى علم النفس فى جامعة أوترخت فى هولندا حيث أجرى العديد من البحوث فى مجالات الشم والروائح، كما نشر مجموعة من أشهر الكتب وأكثرها مبيعًا عن وظائف العقل والسلوك البشري، ومن أهمها "كله داخل العقل" ١٩٨٨ ، "دموع التماسيح" ١٩٨٩، "صُداع" ١٩٩٠، "مصيدة الذئاب" ١٩٩٢ وأخيراً "الرائحة" ١٩٩٤. أما أنطون فان أمرونغين فهو متخصص فى الدراسات البيولوجية، في حين أن هانز دى فرايز من صفوة الباحثين فى مجال علم النفس اللغوي وآليات قراءة النصوص.

وحسبما جاء في الكتاب فقد ارتبطت العطور والروائح في كثير من الثقافات بالممارسات الدينية، وثمة فقرات لا حصر لها عن الروائح وردت في العهد القديم والجديد. فقد ورد في سِفر الخروج أن الرب أمر النبي موسى بقدح البخور في الخيمة المقدسة، كما غسلت مريم المجدلية قدمي يسوع المسيح بالمِرّة ثم جففتهما بشعرها. وفي نشيد الإنشاد بالعهد القديم يصف العريس عروسه بأوصاف وتعابير مشتقة من الروائح الزكية والزهور. وفي الحضارتين الفرعونية والإغريقية كانت القرابين المقترنة بإطلاق البخور وسيلة لاسترضاء الآلهة وشفاء المرضى. كما أمر الإمبراطور الروماني نيرون بحرق أطنان من البخور لتتمكن روح بوبايا من العبور بأمان إلى الحياة الآخرة. وكانت كليوباترا، ملكة مصر، والإمبراطورة جوزفين، زوجة نابليون بونابرت، تتعطران بشكل دائم بالمسك والياسمين وعطور فواحة أخرى. كما انتشر "التداوي بالعطور" لعلاج الأمراض النفسية والعقلية والجسمية منذ أقدم العصور، فقد نصح هوميروس – مؤلف الإلياذة والأوديسة- الناس في زمانه بأن يحرقوا الكبريتات في منازل المرضى، واقترح أبُقراط – الطبيب اليوناني الشهير- مكافحة الطاعون بحرق أعواد الأشجار. وفي مسرحية شكسبير المعروفة أمر الملك ليرى خدمه أن يجلبوا له طيب السنور ليستنشقه فتذهب عنه الكآبة والأفكار السوداء.

وقد لعب الشم دوراً تاريخياً فى مجال الطب إذ كان الأطباء يُشخصون الأمراض من رائحة أجساد مرضاهم. ومن الأطباء من نصح المرضى بشم روائح الزهور مما لها من تأثير فعال على الجهاز العصبي وخاصة روائح خشب الصندل والبابونج التى تساعد على الاسترخاء. وبمعزل عن العمليات الفسيولوجية المرتبطة بالشم فإنّ الروائح تؤثر في العلاقات والتقاليد والتواصل الاجتماعي، وبدون الشم تفقد حياتنا الكثير من جمالها وبهجتها.

ولكل إنسان "جواز سفر شمي" يميزه عن غيره، وتلعب جوازات السفر الشمية دورًا محورياً فى تشكيل الشبكة العنكبوتية الاجتماعية التى تربط الناس بعضهم ببعض كما تساعد الرُضع على التعرف على أمهاتهم من روائح أجسادهن.

العرب .. و تحديات الجغرافيا و التاريخ القريب

ترجمة / عادل صادق

إنه لعملٌ ليس بالصغير أن تضغط تاريخ شعب في مجلد واحد. و تكون المهمة حتى أصعَب مع العرب، و هي أمة عريقة تربط شعوبها اللغة، و الثقافة و الإيمان، لكنها مقسمة بجغرافيا شاسعة عرّضت كل جزء من أجزاء الكل لأحوال مختلفة راديكالياً على امتداد ١٥ قرناً من الزمن.

مع هذا فإن المحاولة الأخيرة في التاريخ العام للعرب، الذي كتبه قبل ٢٠ عاماً تقريباً ألبرت حوراني، و هو أكاديمي بريطاني من أصل لبناني توفي في عام ١٩٩٣، قد برهنت على أنها انتصار. و يبقى المنجز، الغني بتفاصيله و المحكم مع هذا، عملاً كلاسيكياً من نوعه.

و من المناسب، عندئذ، أن يكون مؤلف هذا التاريخ الجديد ذي المجلد الواحد تابعاً من أتباع حوراني. فأيوجين روغان يدير مركز الشرق الأوسط في كلية سانت أنتوني، بأوكسفورد، الذي أسسه حوراني.

و قد تجنب السيد روغان، بحكمة، محاولة التباري مع مجال و عمق تحفة حوراني الآنفة الذكر. فهو لا يبدأ تاريخه في العربية، أو في لحظة اندفاعة العرب في الشؤون العالمية مع ظهور الإسلام. إنه يبدأ بدلاً من ذلك يوم ٢٤ آب ١٥١٦، في معركة مرج دابق في شمالي سوريا. ففي ذلك اليوم مزّقت بنادق و مدفعية سليم العابس، السلطان العثماني، سلاح فرسان سلطنة المماليك في مصر الممتدة ٢٥٠ عاماً الذي كان يقاتل بالسيوف، مفتتحاً بذلك الطريق أمام ٤٠٠ عام من الحكم التركي العثماني على كل العالم العربي عدا أطرافه المحيطية. و قد أشّر هذا، يؤكد السيد روغان بشكل مقنع، لنهاية العصر الوسيط بالنسبة للعرب.و كانت بداية عهد سوف " يناقشون مكانتهم في العالم من خلال قواعد تُعد في عواصم أجنبية، و هو واقع سياسي سيبرهن على واحد من المعالم المحدِّدة لتاريخ العرب الحديث ". كما لا يكرر السيد روغان تقنيبة حوراني في نسج التاريخ من خيوط متعددة مثل الديموغرافيا، و نماذج المتاجرة، و الأدب. فهذا إلى حد كبير تاريخ تقليدي، مركز على تفاعل القوى و مسيرة الأحداث. بكلمات أخرى، كان يمكن لكتاب السيد مورغان أن يُدعى على نحو أكثر ملاءمةً بتاريخ العرب السياسي الحديث.

و إنها بوجه خاص ليست بقصة سعيدة، لكنها قصة فاتنة، و حسنة السرد جداً. فالسيد روغان يناور بثقة بارعة، محافظاً على خطوط ثابتة عبر الزمن، و مبقياً الأفق الأوسع مرئياً حتى و هو يستفيد من سلسلة عريضة من المصادر الأساسية المختارة بحصافة لإغناء السرد. و آراء العرب المعاصرين الأكثر تركيزاً لا تضيف فقط مادةً و في بعض الأحيان هزلاً، بل تعطي حساً أعمق بالأحاسيس العربية المتغيرة أيضاً.

و يعرف القاريء، مثلاً، عن الاعجاب بالقاعدة الدستورية الفرنسية التي سجلها دارس مصري أرسل إلى باريس في ثلاثينيات القرن التاسع عشر.كجزء من جهود مصر المبكرة للّحاق بالتقدم الأوروبي، و عن الفزع المعبَّر عنه في يوميات قاضٍ مسلم في دمشق في خمسينيات القرن التاسع عشر.حين قام حكامه العثمانيون، و هم مصممون على التحديث، بتجاوز الشريعة السابقة و شرّعوا المساواة بين الأديان.

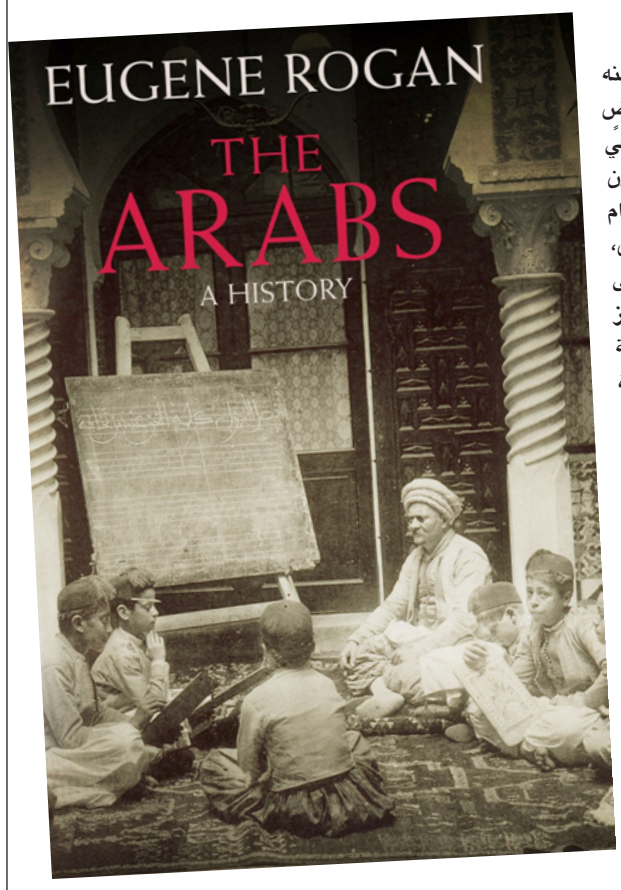

و يلقي السيد روغان الضوء بشكل مفيد على حلقات الأحداث المعروفة أقل من غيرها، مثل التوسع المؤثر لمصر كمنافس للعثمانيين في أوائل القرن التاسع عشر، أو ثورة الريف في المغرب في عشرينيات القرن العشرين، حين كُبِّدت القوات الأسبانية عشرات الآلاف من الإصابات و هزيمة مُذلّة.

و هناك صلات قلّما تُلاحظ يتعرض الكتاب لها. فبعد استيلاء إسرائيل على غزة و الضفة الغربية في عام ١٩٦٧، مثلاً، أجاز مجلس الأمن الدولي القرار ٢٤٢، الذي دعا إلى انسحاب إسرائيل مقابل الاعتراف بإسرائيل من قبل جيرانها. و كونه أساس كل خطة سلام لاحقة، فإن ٢٤٢ يُعتبر بوجه عام إيجابياً بالنسبة للفلسطينيين، بما أنه قد فتح الطريق إلى حل دولتين. مع هذا كما يبيّن السيد روغان، فإن الأمم المتحدة لم تقل إلى مَن ينبغي إعادة الأراضي. و مخاوف الفلسطينيين، من أن الأردن و مصر يمكن أن يخوناهم، و يأخذون الأرض لأنفسهم، أوحت للبعض بتبني تاكتيكات إرهاب في محاولة لهز العالم و دفعه للاعتراف بحقوقهم. و في هذا، يمكن المجادلة بأنهم كانوا ناجحين.

و المحتم، أن هناك ثغرات في القصة. فالسيد روغان يفصّل انتهاك الأمبريالية الأوروبية البطيء لكل ركن تقريباً من العالم العربي. و مع هذا فإنه يقصر عن ذكر عمر المختار، البطل الليبي الذي استمر تمرده ضد الغزاة الإيطاليين ٢٠ عاماً، و القمع الوحشي الذي أعقبه حشد الكثير من سكان ليبيا في معسكرات اعتقال، حيث مات كثيرون.

كما أن هناك القليل من الأخطاء الصغيرة. فمصر ليست منتجاً كبيراً للنفط، و إنما مواردها "رمزية" بالكاد. و قد ضخت النفط منذ عام ١٩١٠ ، و صدّرته منذ ستينيات القرن الماضي و الآن تبيع أيضاً مقادير كبيرة من الغاز الطبيعي. و أما وصفه مزارع شبعا، و هي جيب متنازَع عليه يقع على حد لبنان مع مرتفعات الجولان التي تحتلها إسرائيل، فغير دقيق. فسوريا لا " تصر " على أن شبعا منطقة لبنانية ، و إنما تفضّل ترك مسألة ملكية ملتبسة، بينما كان ادعاء إسرائيل أن الأرض تعود لسوريا مقبولاً من قبل فريق للأمم المتحدة قام بتحديد الحدود، في أعقاب انسحاب إسرائيل من لبنان، بعد احتلال استمر ٢٠ عاماً، في عام ٢٠٠٠. و يمكن الإشارة هنا أيضاً إلى اعتماد المؤلف كثيراً على حسنين هيكل، الصحافي المصري، في تقريره عن أنور السادات، مع أن أحدهما كان يقرف من الآخر على ما هو مشهور.

إن معالجة السيد روغان للنزاع العربي الإسرائيلي هو على الأرجح لحث شيء من الغضب من داعمي إسرائيل الأكثر تهاوناً. لكنه تدعمه جيداً البيّنة، و الكثير منها يوفره مؤرخون إسرائيليون. و ما يجعل كتابه نافعاً بوجه خاص هو طريقة وضعه هذا النزاع الأساسي المستمر ضمن السياق الأوسع، سياق نضال العرب الطويل و غير الناجح مع هذا من أجل الوصول إلى علاقات أكثر مساواة مع الغرب. و الأوروبيون، و الأميركيون أيضاً، بحاجة لتحريك ذاكرتهم بشأن كم كانت حكوماتهم متغطرسةً، و منافقةً و غبية بشكل متكرر في تعاملها الشرق الأوسط.

و السيد روغان لا يعفي العرب بأية حال من المسؤولية عن أعمالهم. فوفقاً لبيانه المقنع، فإن قادةً مثل الشريف حسين، الذي حكم ما يشكل الآن العربية السعودية الغربية في أيام الحرب العالمية الأولى، أو جمال عبد الناصر، رئيس مصر في الفترة ١٩٥٦ ـ ١٩٧٠، كانوا رجالاً متهورين بشكل ملحوظ. لكن هذا التاريخ النموذجي يجعل من الواضح على نحو مدهش أيضاً أن جيران العرب الأكثر قوةً قد سعوا إلى تعقيد، وليس تسهيل، دخول العرب إلى العالم الحديث.

عن / The Economist

آفـــاق

الأستاذ محمد خضير

سعد محمد رحيم

يُقلق صانع السرد، قبل كل شيء، أمران/ سؤالان؛ ماذا يكتب؟ وكيف يكتب؟. واليوم، عند كتّاب الحداثة، بات السؤال الثاني أكثر أهمية من السؤال الأول. أسوق هذا الكلام بمناسبة صدور كتاب جديد، لأستاذ كبير في صناعة السرد هو محمد خضير، عنوانه؛ (السرد والكتاب/ كتاب دبي الثقافية/ ٢٠١٠). وفيه يحتفي بالسرد وبالكتاب.. يصوغ لنفسه نوعاً من سيرة نظرية هي خلاصة وجهة نظره (رؤيته) المستمدة من خلال تجربته في الكتابة الإبداعية، وقراءاته الجادة للأعمال السردية. وتبقى كتاباته غير السردية (مقالاته) هوامش وتعليقات ليس إلاّ، على كتاباته وكتابات غيره، السردية. فما يهمّه، في النهاية، هو السرد.. إنه سارد المدينة بامتياز. قصصه تمثيل لروح المدينة في تحوّلها.. يلتقط ذبذباتها الخفية ليحيلها إلى حركة متموجة في قلب النص السردي، وعلى سطحه.

لطالما تخيلت محمد خضير وهو يشتغل بدأب نملة، لكنه، وباستعارة اصطلاحات من فن التشكيل والسينما، ينظر إلى العالم، بالتعاقب، بعين النملة وعين الطائر. إنه واحد من أكثر قصاصي العرب إدراكاً لتقنيات صنعته.. إنه يعرف ماذا يفعل.. إن لكل قصة من قصصه خريطة سرّية مرسومة بدقة وحذاقة. ولعل هذا يفقده (أحياناً) بعضاً من تلك التلقائية والطراوة التي يتطلبها العمل المبدع، ويقرّبه من المجرد، والإيغال برسم الأشياء، على حساب الحسّي والإنساني.

لقصصه أناقتها الارستقراطية، وبناؤها المهذّب، وهندستها المفرطة.. إنه السارد المهندس، أكثر من كونه السارد الشاعر (لاسيما بعد مجموعتيه: المملكة السوداء. وفي درجة ٤٥ مئوية)، ولهذا فهو في نصه نسيج وحده. ودوماً بقي على مسافة من أقرانه ومجايليه. أقصد كان يبتعد عنهم بخطوة على الأقل. ولا أجزم هنا، حكماً معيارياً تفضيلياً إلاّ على مقلديه، وهم كثر للأسف. وباشتغاله الصبور في السرد، وفي التعقيب على عمليات إنتاج السرد، شيّد لنفسه برجاً خاصاً، معزولاً وغير معزول في الوقت نفسه.. إنه هناك يطل عبر نافذته الواسعة على مشهد العالم، ويتوه في بطون الكتب، وفي ممرات السرود العظيمة. هاجسه فنه، رقي فنه، لهذا لا يريد أن يسهو.. إنه يراقب وينقّب ويتقصى ويستجوب.. إن نصّه الوقور يجعل الآخرين يتقبلونه بشيء من الرهبة، حتى وإن لم يعجبهم. فإبداعه موضع احترام حتى عند أشدّ خصومه الأدبيين.

إن الجيل التالي من كتّاب السرد العراقيين مدينون لمحمد خضير، وقد تعلموا منه، حتى وإن أنكر بعضهم جميله.. إنه، وكما يعتقد أغلبهم، أستاذ صنعة السرد، ولا يمكن تجاوزه. وأفضل هؤلاء هم الذين عملوا جاهدين ليكونوا مختلفين عنه.. فهموا درسه جيداً؛ (كن نفسك ولا تقلّدني).

السرد إنشاء، ومحمد خضير أستاذ إنشاء من طراز فريد.. صانع تحف ماهر، تحف من كلمات وعبارات وجمل؛ تحف سردية. مهارته في الإنشاء، ولذته المستحصلة من العملية تقوده، أحياناً، إلى الإفراط فيها. وفي هذا الخضم يظل يتساءل عن أشياء كثيرة، ذاهباً إلى أبعد نقطة يستطيع الوصول إليها، مدركاً جوهر وظيفته الإبداعية؛

(الحياة والزمان والحب والحرية والموت، الخ، ليس إلاّ موضوعات وعناصر سرد، وما عليه سوى أن يهتم بإنشاء نصوص سردية، كي يمثّل تلكم الموضوعات الكبرى في عالمه السردي، ويضفي عليها الحيوية والقيمة والمعنى). إنه الراصد المراقب.. إن حاسته الأولى هي عينيه، لذا نجد تشبيهاته ومجازاته وصوره بصرية، في الغالب. محمد خضير هو السارد التشكيلي.. إنه يرسم وينحت بقدر ما يسرد.. إن العالم كله في منظور صانع السرد ليس سوى مادة أولية لماكينة سرد عملاقة.. هيولى غير متشكلة تنتظر مهارة السارد كي تتحول إلى مادة قابلة للفهم، وتكتسب صلابة ونظاماً؛ أي شكلاً مفعماً بقيم جمالية.

محمد خضير، في كتاب (السرد والكتاب) هو قارئ الكتاب قبل أن يكون صاحبه، وبعد أن يكون حامله. إنه يُخرج الكتاب من عتمة الدرج والمخزن إلى النور.. إن الكتاب بين يديه شيء يجب أن يُلمس ويُشم ويُبصر بعناية. وتجيء شروحه وتنظيراته حول فعل السرد وإبداع النصوص والعلاقة الحميمة مع الكتاب (الورقي) غنية بالأفكار، تفصح عن طريقته الباهرة في بناء النص السردي، وفي قراءته.

إصدارات دار
المدى
للثقافة والنشر

سلسلة أعمال خالدة

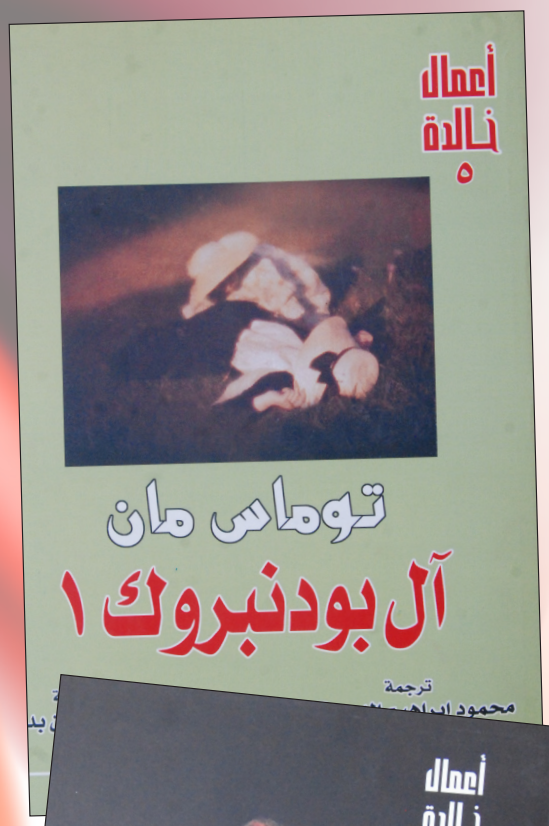

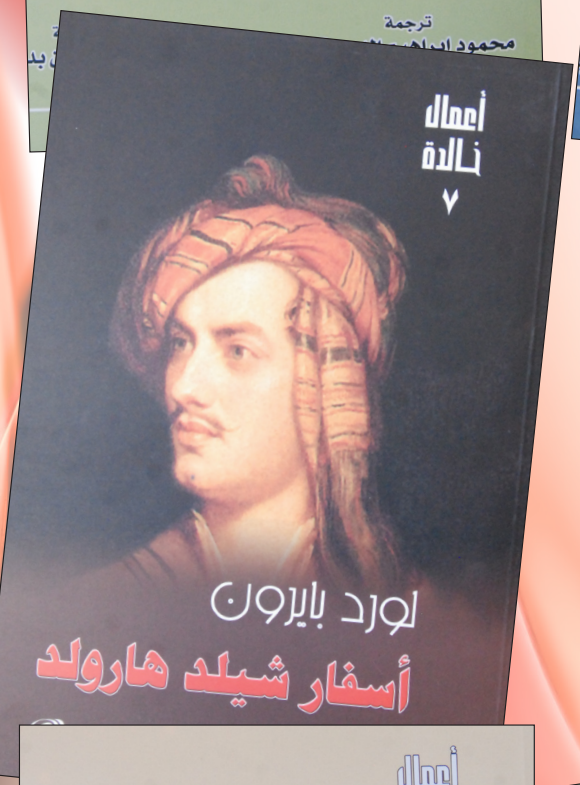

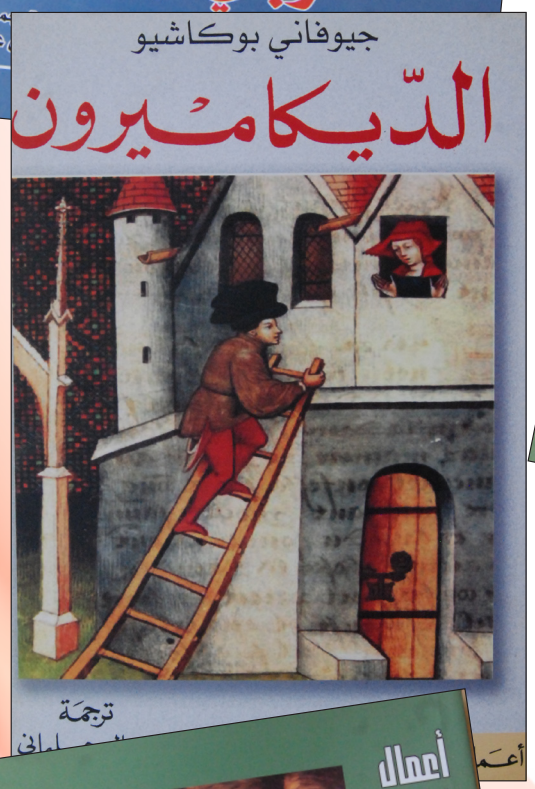

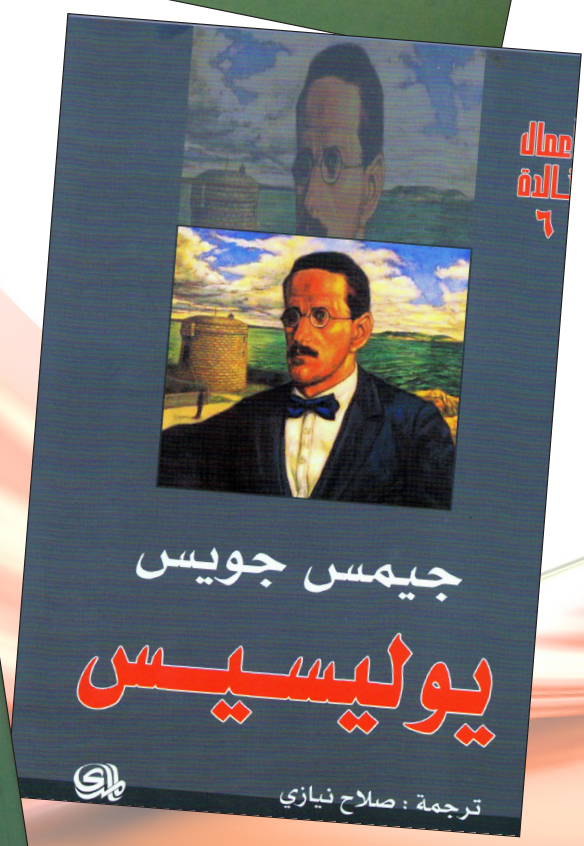

تطلب من مكتبة المدى وفروعها: بغداد - شارع السعدون - قرب نفق التحرير .. بغداد - شارع المتنبي - فوق مقهى الشابندر .. اربيل - شارع برايه تي - قرب كوك

تحرير | علي حسين - علاء المفرجي
الاخراج الفني | مصطفى جعفر
التصحيح اللغوي | يونس الخطيب